أخلاق التعامل مع الأزمات من منظور اسلامي

محروس بسيوني

أستاذ مساعد في الدعوة

كلية الشريعة-جامعة قطر - قطر

ملخص البحث: تعتري الأفراد والجماعات والدول أزمات متنوعة تحتاج في التعامل معها لمجموعة من القيم والأخلاقيات، والتي تسهم في إدارة الأزمة بفاعلية، وسمت أخلاقي يساعد على تخطيها وتفادي آثارها السيئة. ومن أسباب البحث تغافل الكثيرين ممن يتعاملون مع الأزمات عن المعايير الأخلاقية في التعامل معها؛ مما يطيل أمدها ويجعل معالجتها منقوصة، وتفتقر للعموم والشمول.

وقد اتبعت في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي والاستنباطي؛ لبيان طريقة التعامل مع الأزمات من منظور إسلامي، وذلك من خلال النصوص المحكمة وأقوال أهل العلم، مستشهدًا بذكر بعض الأزمات، وكيف تم التعامل معها من خلال منظومة أخلاقية راقية. وتوصلت الدراسة إلى تحديد جملة من الأخلاق ومنهجية التعامل مع الأزمات من خلالها، وتوصي الدراسة بإقرار موضوعاتٍ دراسية ودورات تدريبية؛ لنشر هذه الأخلاقيات والتوعية بها على مستوى الأفراد والأسر والمجتمعات والدول.

الكلمات المفتاحية: أخلاق - أزمة -إسلام

The Ethics of Dealing with Crises from an Islamic Perspective

Mahrous Basyoni

Assistant Professor of Dawa

College of Sharia-Qatar University - Qatar

Mahrous.mohamed@qu.edu.qa

Abstract: Individuals, groups, and states all face a variety of crises that require a set of values and morals when dealing with them. These morals contribute to the effective management of such crises and assist in overcoming both them and their negative ramifications. Many of those who are involved in solving crises ignore these ethical standards, which only prolongs the crisis and renders their solutions less effective and comprehensive.

In this research, I followed both analytical descriptive methodology and deductive methodology to outline the Islamic perspective on how these crises should be handled. This was done after analysing religious texts and scholarly statements and by citing various crises and examining the manner in which they were dealt with using a moral system.

This research concluded by specifying certain ethics and methodologies for dealing with crises and advising for the further study of a number of subjects and the establishment of training courses in order to create awareness for such ethics at individual, family, communal and state level.s

Keywords: Ethics, Crisis, Islam.

https://doi.org/10.29117/jcsis.2018.0203

© 2018 Basyoni, licencee ***JCSIS***. This is an open access article distributed under the terms of the Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International license (CC BY-NC 4.0), which permits any noncommercial use, distribution, and reproduction in any medium, provided the original author(s) and sources are credited.

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله، عليه أفضل زكاة وصلاة، وبعد،

لا تخلو الحياة على مستوى الأفراد والأسر والمجتمعات من أزمات متنوعة، تسفر عن الطبائع والأخلاق ودفائن النفوس. والحقيقة أن العالم اليوم يعيش واقعًا أليمًا يعاني فيه من أزمة أخلاقية عند تعامله مع الأزمات. كما أن الأزمات ليست حالة من التهديد فحسب، ولكنها فرصة للتغيير أيضًا، غير أنَّ هذا التغيير قد يكون للأفضل، وقد يجنح للأسوأ أخلاقيًّا وسلوكيًّا، وذلك لأن مواقف الناس تتباين في الأزمات بين مستقيمي الخلق، رابطي الجأش، وآخرين تزيغ أبصارهم، وتطيش عقولهم، وتنحط أخلاقهم، فلا يسلم من أذاهم أحد، وهذه الفئة تتعدى آثارها الخبيثة ذواتهم لتؤذي غيرهم.

أما المستقيمون على الحق، القائمون على حدود الدين، فلا تزيدهم الأزمات إلا بصيرةً بالحق وثباتًا عليه، وهؤلاء يسلم لهم دينهم، وتسلم لهم أخلاقهم، ويشتد عودهم، وتقوى قلوبهم في مواجهة صروف الدهر وعواديه.

ومما لا شك فيه أن هناك إمكانية للتغيير نحو الأفضل من خلال التوعية والتوجيه، وبيان الآثار الإيجابية المترتبة على اتباع منهج أخلاقي في التعامل مع الأزمات.

وقد حوى ديننا الإسلامي منظومة أخلاقية عظيمة تمكِّن المتأسي بها والمتقيِّد بمعالمها من تنمية ذاته، والوقاية من كثير من مخاطر الأزمات، والتخفيف من حدَّتها وآثارها السيئة، بل والاستفادة منها في صقل الشخصية واستخراج كنوزها وإعادة اكتشافها. ومن هنا تصير المحنة منحة، والأزمة عزيمة وقوة، ويصدق على المسلم ساعتها قول الله تعالى: ﴿... فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء/١٩]

إن إعادة الفاعلية للشخصية المسلمة تستلزم نقدًا للذات يسهم في كشف مواطن الداء؛ للسعي في طريق الإصلاح ببصيرة نافذة وأقوال أهل العلم، ومن الموضوعات التي تحتاج إلى مزيد من المراجعات، موضوع مكانة الأخلاق والقيم في تعاملات المسلمين اليوم في شتى دروب الحياة، وخاصة في وقت الأزمات، والتي يتصرف فيها الإنسان -غالبًا- بناء على المنظومة الأخلاقية والقيمية التي يؤمن بها وتتحكم في توجيه سلوكياته.

أهمية البحث:

تبدو أهمية البحث من حيث احتياج كل من يتعاملون مع الأزمات إلى منهج أخلاقي في كل مراحلها، في بداية الأزمة وأثناء فترة انفجارها وقوتها، وكذلك بعد انحسارها وانتهائها.

ومما يدل على أهمية هذا البحث أن الكثير من الأزمات قد تنشأ أو تستمر ويشتد عودها بسبب خلل أخلاقي لدى طرفي الأزمة أو أحدهما، حيث يكون هذا العوار سببًا جوهريًّا في نشوء الأزمة أو استمرارها، ولا بد في علاج تلك الأزمات من الإتيان على مسبباتها بالنقض والإزالة؛ حتى يكون العلاج ناجعًا ومفيدًا، بما في ذلك البُعد الأخلاقي.

إن مما تعانيه الأمة المسلمة من مشكلات فكرية هو القفز إلى التعامل مع النتائج دون النظر إلى الأسباب، ولعل هذه الدراسة ترد الأمور إلى نصابها، من حيث العودة إلى استكشاف الأسباب التي تؤدي إلى الأزمات، والتي منها عدم الالتزام بالأخلاق في مراحل الأزمة المتنوعة. (ولعل المطلوب اليوم أكثر من أي وقت مضى-والأزمات يأخذ بعضها برقاب بعض-التوجه صوب القراءة القاصدة والإيجابية للأزمة، والعمل على امتلاك القدرة لتوظيفها في استرداد فاعلية الأمة، وتجديد شبابها، واستنبات قيادات ونخب جديدة، والقضاء على الجوانب الرخوة في حياتها، وبيان أثر الترف والفساد والفسوق والمعاصي في هشاشة بناء الأمة ونظامها الأخلاقي ونسيجها الاجتماعي وتحضيرها للكارثة)[1].

إن الأزمات ينتج عنها غالبًا حالة من عدم الاستقرار والأمن، ومن المستحيل تحقيق الأمن والاستقرار بدون التسلح بمنظومة قيميَّة وأخلاقية تسهم في إحلالهما؛ ومن ثم تعظم الحاجة لمنظومة خلقية للتعامل مع الأزمات في كافة مراحلها.

كما أن النظر إلى العوامل المادية فقط دون سواها في إدارة الأزمات يُعَدُّ أزمة في حدِّ ذاته؛ لأن الجوانب الروحية والنفيسة للإنسان لها أثر عميق في نشوء الأزمة وفي انحسارها.

والاعتماد في تفسير الأزمات وفي إدارتها على الجوانب المادية فقط -لظهورها والقدرة على قياسها-يؤدي إلى خللٍ في الرؤية، والذي يتبعه فشل في الإدارة، أو استحداثٍ لأزمات جديدة لم تكن موجودة.

مشكلة البحث:

تعاني الأمة الإسلامية اليوم من أزمة أخلاقية في مواجهة الأزمات، تجعل مواجهتها للأزمات منقوصة وغير كافية، كما يشوبها الكثير من عوامل الفشل؛ نتيجة تجاهلها للبعد الأخلاقي في المواجهة. وقد تنتج عن المعالجة البعيدة عن الأخلاق أزمات أخرى وليدة. والمنهج الإسلامي -من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة-في مواجهته للأزمات يتسم بالشمول والعموم، ومن بين معالم شموليته: مراعاة البعد الأخلاقي في المواجهة.

وتكمن مشكلة البحث في السؤال التالي:

(١) عبد الله إبراهيم الكيلاني، إدارة الأزمة مقاربة التراث والآخر، (قطر: كتاب الأمة رقم ١٣١، يصدر عن مكتب الدراسات والبحوث بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية ١٤٣٠)، ص:٢٢.

ما الأخلاقيات اللازمة لمواجهة الأزمات من منظور إسلامي؟

أهداف البحث:

مما لا يُشك فيه المسلم أنَّ المنهج الرباني كفيل بإخراج الأمة من أزماتها المتلاحقة، من خلال منظومة القيم التي تضمن الحقوق وتصون الواجبات، فكل أزمة تحدث إنما هي نقصان لحقٍّ مشروع، أو تفريط في واجب مفروض.

ويهدف البحث إلى:

١-تحديد صورة مثلى للأخلاقيات التي ينبغي التقيد بها في مواجهة الأزمات من خلال القرآن الكريم والسنة المطهرة.

٢-إظهار الآثار الإيجابية للتقيد بالأخلاق الحميدة عند التعامل مع الأزمات.

٣-بيان الآثار السلبية عند التخلي عن القيم والأخلاق الحميدة في التعامل مع الأزمات.

٤-الدعوة للقيام بدور إيجابي تجاه الأزمات الحالية أو المتوقعة على المستوى الشخصي، أو الأسري، أو الدولي؛ للإسهام في حلها، وللحيلولة دون تفاقمها وتصعيدها.

أسباب البحث

١-الانفلات الأخلاقي الملحوظ من بعض الأفراد والأسر والمجتمعات والدول في التعامل مع الأزمات.

٢-افتقار الكثيرين لمعرفة الفضائل الخُلقية الرشيدة في التعامل مع الأزمات.

٣-ظهور الأضرار القاتلة؛ جرّاء عدم التحلي بالأخلاق، والتي تتنوع في مستواها ونوعها بدرجة كبيرة حسب نوع الأزمة ومدى اتساعها.

٤-انتشار الخطاب الإعلامي غير الأخلاقي في التعامل مع الأزمات.

الدراسات السابقة

تنوعت الدراسات التي عنيت بموضوع الأزمات، فمنها ما تعلق بالتنظيمات الإدارية ودورها في مواجهة الأزمات، وهي كثيرة ومتنوعة المشارب والمداخل، ومنها ما يتعلق بإدارة الأزمة من منظور إسلامي، وهي التي

تتعلق بموضوع الدراسة من حيث انطلاقها من منظور إسلامي، ولم يجد الباحث دراسة استهدفت بيان الجانب الأخلاقي في مواجهة الأزمات في كافة مراحلها، وإن كانت أشارت الدراسات السابقة في بعض جزئياتها إلى المعاني الأخلاقية، ومن هذه الدراسات:

١- دراسة: استراتيجية إدارة الأزمات تأطير مفاهيمي على وفق المنظور الإسلامي[١]

اهتمت الدراسة بالإطار المفاهيمي للأزمة، واهتمت بالأزمة الإعلامية والاتصال خلال الأزمة وما يرتبط بذلك من الجانب المعلوماتي، وتختلف عن الدراسة الحالية التي تُعنى بالجانب الأخلاقي في مواجهة الأزمات، وهو ما لم تتعرض له الدراسة السابقة.

٢- دراسة: إدارة ومعالجة الأزمات في الإسلام.[٢]

هدفت الدراسة إلى ذكر نماذج من الأزمات الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية، والإدارية، التي ورد ذكرها في القرآن الكريم والسنة النبوية، وتم التركيز فيها على الجانب الإداري لمواجهة تلك الأزمات، وكذلك على الجانب الفقهي المرتبط بالإدارة عبر العصور الإسلامية المختلفة. وجاء ذكر الأخلاق في منهجية المواجهة في بعض المواضع بصورة مختصرة.

٣- دراسة: إدارة الأزمات الفكرية في المنظور الإسلامي.[٣]

هدفت الدراسة إلى معرفة مداخل الأزمات وأسبابها الفكرية، وبينت الأسباب الداخلية والخارجية للأزمات الفكرية، وذكرت نماذج معاصرة من الأزمات وكفية إدارتها ومواجهتها.

٤-دراسة: إدارة الأزمات في السنة النبوية " حادثة الإفك نموذجا.[٤]

هدف البحث إلى إبراز المنهج النبوي في إدارة الأزمات من خلال نموذج حادثة الإفك. وقد ذكر الباحث تعريف الأزمة من وجهة النظر الإسلامية، ثم بين الأزمات التي واجهها النبي ﷺ في حادثة الإفك، وكيفية إدارته لها، والاستفادة منها في تمحيص المجتمع. وقد استفاد الباحث من هذه الدراسة في بيان أنواع الأزمة، وكذلك في

(١) د. إيثار عبد الهادي محمد، استراتيجية إدارة الأزمات: تأطير مفاهيمي على وفق المنظور الإسلامي، (بغداد: مجلة العلوم الاقتصادية والإدارية، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة بغداد. ٢٠١١) ، المجلد ١٧،ع: ٦٤.

(٢) د سوسن سالم الشيخ، إدارة ومعالجة الأزمات في الإسلام، (القاهرة: دار النشر للجامعات، ط أولى)، ١٤٢٤١هـ-٣٠٠٢م.

(٣) نور سهيل مهدي، إدارة الأزمات الفكرية في المنظور الإسلامي، (بغداد: جامعة بغداد-كلية العلوم الإسلامية)، ٢٠١٤.

(٤) محمد الزغبي، إدارة الأزمات في السنة النبوية «حادثة الإفك نموذجا»، (الأردن: المجلة الأردنية في الدراسات الشرعية) ٥٣٤١هـ-٤١٠٢م.

الحديث عن خطر الشائعات في الأزمات.

وما سبق من دراسات تختلف عنها هذه الدراسة بتخصيصها الحديث عن الجانب الأخلاقي في مواجهة الأزمات وهو ما لم يتم استيفاؤه في الدراسات السابقة.

منهج البحث

يعتمد البحث على كل من المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج الاستنباطي، حيث يركز الباحث على جملة أخلاق محددة يرى أهميتها في مراحل معينة من مراحل الأزمة، ويقوم بتقسيمها، ويحدد سبب ورود هذا الخلق في أي جزئية من جزئيات البحث، مع بيان الاستدراكات للمعاني غير المقصودة التي قد تُفهم من ذكر خلق معين، وتفنيد ذلك وردّه.

مكونات البحث:

المقدمة وتشتمل على: أهمية البحث-أهداف البحث-أسباب البحث - منهج البحث-الدراسات السابقة -مكونات البحث.

التمهيد: ويحتوي على: مفهوم الأخلاق ومكانتها، ومفهوم الأزمة.

المبحث الأول: الأخلاق في بدء الأزمة.

المبحث الثاني: الأخلاق أثناء الأزمة.

المبحث الثالث: الأخلاق بعد الأزمة.

الخاتمة والمراجع.

التمهيد

تضع الأزمات والفتن الإنسانَ في اختبارٍ حقيقي، حيث تُظهر معدنه ومدى التزامه واستقامته واحترامه لمنظومة القيم التي يقوم عليها المجتمع. ويُعد المنهج الأخلاقي الإسلامي بتكامله ركيزة أساسية في تعامل المسلم مع الكون والحياة والأحياء. وبقدر التزام المسلم بهذا المنهج تظهر استقامته على الصراط المستقيم الذي شرَّعه الله لعباده، وطلب منهم الدعاء كل يوم سبع عشرة مرة للاهتداء إليه. وكلما توغَّل المسلم في الابتعاد عنه، كلما ازداد بُعدًا عن لبِّ الدين وأهداف الشريعة.

ومما لا شك فيه أن من الناس مَنْ «يستهويهم مناخ الفتن والأزمات فلا يستطيعون العيش بدونه، فيصرفون جهدهم إلى استدهاء الأزمات التاريخية الماضية وإيقاظ الفتن النائمة»[١] هذه الفتن التي عمَّت وكثرت ولم يبق فيها استزادة لمستزيد «لعن الله من أيقظها» لا للخلوص إلى العبرة واكتشاف السنن الاجتماعية والاقتصادية أو السياسية، وإنما لجعلها فخاخًا تستنزف جهد الأمة وعقلها ومالها في المعارك الخطأ؛ لأن الكثيرين من الناس باتوا لا يستطيعون الحياة إلا في مناخ الأزمات، مثلهم مثل الاحتكاريين في أزمان الحروب والمجاعات، الذين يتلاعبون بأقوات الناس لمصالحتهم؛ فهم بذلك يصنعون الأزمة ويصعدون عليها ولا يعالجونها"[٢].

والمنهج الإسلامي في مواجهة الأزمات يهدف إلى تجاوز الأزمة بلا خسائر، أو بأقل خسائر، ثم تحويل النقمة إلى نعمة، والبلية إلى عطية، ومن الآليات التي تسهم في ذلك: الالتزام بالبُعد الخلقي في مواجهة الأزمات.

ويختلف الأنموذج الإسلامي في إدارة الأزمة بمنطلقاته الفكرية، ومرتكزاته القيمية، وجوانبه الروحية، عن النماذج الأخرى من حيث التمسك بالقيم والمثل والأخلاق والسلوكيات الحسنة التي لم يبتعد عنها الرسول ﷺ وقت الأزمات"[٣].

كما أن ما نراه من مشكلات وأزمات يرجع إلى «قصور في ذواتنا واجتهادنا وبصارتنا وغيبوبتنا عن قيمنا الإسلامية وعصرنا الزاخر بالمشكلات معا. ولذلك، فبدل أن نقدم الحل نزيد الإشكالية تعقيدًا وتأزيمًا، وقد يصل الأمر إلى الشك بقدرة القيم الإسلامية على تقديم الحل»[٤]. وهذا بيان بمصطلحات البحث.

(١) إدارة الأزمة مقاربة التراث والآخر، ص: ١٠، مرجع سابق.

(٢) المرجع السابق، ص: ١٠.

(٣) إيثار عبد الهادي محمد، استراتيجية إدارة الأزمات، المجلد ١٧، ع: ٦٤، ص: ٦٠. مرجع سابق،
AL-Adid Samuri, M .(2012) Protection of children during Wartime under Islamic Law and international Law Perspective. Social Sciences (Pakistan),7(3), 383-390 doi: 10.3923/sciences. 2012.383.390.

(٤) سلوى حامد الملا، دور القيادة في إدارة الأزمة، (قطر: سلسلة كتاب الأمة تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون إسلامية ربيع الأول ١٤٣٦هـ)، ع: ١٦٦، ص: ١١.بتصرف.

أولا: مفهوم الأخلاق ومكانتها

الأخلاق: جمع مفرده الخُلُق، ومعناه: السجية والطبع[١]. ويعرف الإمام الغزالي الخلق بقوله: (الخُلُق هيئة في النفس راسِخة، عنها تصدُر الأفعال بسهولةٍ ويسر، من غير حاجة إلى فكرٍ ورَوِيَّة»[٢]. وقد تنوعت الدراسات التي ربطت بين الجانب الأخلاقي وجوانب أخرى في الحياة مبينةً أثره عليها، لأن الهدف من علم الأخلاق «أن نحصل لأنفسنا خُلُقًا تصدر به عنا الأفعال كلها جميلة، وتكون مع ذلك سهلة علينا لا كلفة ولا مشقة ويكون ذلك بصناعة، وعلى ترتيب تعليمي»[٣].

وهذا يؤكد حقيقة مهمة، وهي: أهمية الأخلاق، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»[٤].

وقد امتازت مكانة الأخلاق في الإسلام بمكانة خاصة فهي لحمة النظم الإسلامية كافة، بل هي غاية الدين وهدفه، حتى إن رسالة الإسلام تم حصر غايتها في إقرار الأخلاق وإتمامها، والتي تُعَدُّ مناط التفاعل والتواصل المجتمعي، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»[٥] والحقيقة أيضًا أن هذا الجانب -جانب الأخلاق والقيم-لم يُوَفَّ حقُّه إلا في حضارة المسلمين، تلك التي قامت في الأساس على القيم والأخلاق، وذلك بعد أن تشرذمت وتفرَّقت وأُهْمِلَتْ بين الأمم والحضارات.

ولقد عظمت مكانة الأخلاق في المجتمع المسلم استجابة للأوامر الإلهية التي عمَّقت معانيها في النفوس، وربطت بين تلك المعاني وتحقّقها ومستوى الإيمان لدى المسلم، فكلما كان يقين العبد بالله قويًّا سلك سلوكًا أخلاقيًّا إيجابيًّا، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيرًا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه"[٦].

وعندما يختل الإيمان يختل ميزان الأخلاق لدى العبد، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبي ﷺقال: «أربع من كن فيه كان منافقا، ومن كانت خصلة منهن فيه كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: من إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر»[٧]. ويقول الرسول ﷺ: "لا إيمان لمن لا أمانة له

(١) أحمد جمال الدين بن منظور، لسان العرب، (بيروت: دار صادر د.ت.)، ج: ١٠، ص:٨٥.

(٢) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، (بيروت: دار المعرفة د.ت)، ج:٣، ص:٥٣.

(٣) أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب بن مسكويه، تهذيب الأخلاق، (بيروت: ط: الجمل. ٢٠١١م)، ط:١ص: ٢.

(٤) مسند الإمام أحمد/ مسند أبي هريرة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (ط: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١-٢٠٠١)، ط:١، ج: ١٤، ص: ٥١٣.

(٥) مسند الإمام أحمد/ مسند أبي هريرة، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (ط: مؤسسة الرسالة، ١٤٢١-٢٠٠١)، ط:١، ج: ١٤، ص: ٥١٣.

(٦) صحيح البخاري، كتاب، الرقاق، باب حفظ اللسان (دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ) ج:٨، ص: ١٠٠، رقم ٦٤٧٥.

(٧) صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: خصال النفاق، (بيروت ط: دار إحياء التراث العربي)، ج: ١ص: ٧٨، رقم ٥٨.

ولا دين لمن لا عهد له"[١].

والبحث يعنى بتلك الأخلاق التي تستمد جذورها من الفطرة والدين، وترتكز على الغيب والروح ومحورية النفس، أي تلك الأخلاق التي تعطي الأهمية للجانب الروحي ولتهذيب النفس وترويضها وفك أسرها من قيود المادة والدنيا. ولا تلغي أهمية الأخلاق المكتسبة من خلال المران والممارسة والخبرة.

إن ميزة الأخلاق الدينية التي ترتكز على الغيب أنها استطاعت أن تقوم بعملية توحيد بين منفعة النفس ومنفعة الآخر، حيث لا يغدو نفع الآخر إلا نفعًا للنفس ومنفعةً للآخر، وإن هذه المزاوجة بين نفع الأنا ونفع الآخر لا توجد في غير المنظومة الأخلاقية الدينية إلا بمعنى من المعاني لا يشفي الغليل ولا يقنع السائل، والأخلاق القادرة على القيام بتلك المهمة في إعادة التوازن على مستوى علاقة الإنسان بالمادة والروح، هي تلك الأخلاق التي ترى الإنسان موضوعًا، والله تعالى هدفًا. وموضوعية الإنسان هي في جانبه الروحي وفي نفسه، حيث تعمل الأخلاق تهذيبًا وترويضًا وتزكيةً، وهدف العملية الأخلاقية هو الله تعالى حيث ترى في ذلك التخليق اقترابًا من الله تعالى وفوزًا برضاه، وطيا للفيافي في سبيل السير والسلوك إليه تعالى.

وبناءً على ما تقدم، يكون من الضروري الدعوة إلى عولمة أخلاقية تعيد الاعتبار لمفاهيم الضمير والخير والرحمة، وتعيد الاعتبار للإنسان كقيمة بحد ذاته لا باعتباره مصدرًا للنفع وموضوعًا للربح والمصلحة المادية[٢]. وبذلك يتعالى صاحب الأخلاق على ما يبدو من تعارض بين ما تدعوه إليه المنظومة الأخلاقية التي يؤمن بها، وما يعارضها من مصالح آنية دنيوية.

ثانيًا: مفهوم الأزمة

الأزمة لغة الشدة والقحط، وجمعها إِزَمٌ، والأزمة السنة المجدبة والأَوَازِمُ السنون الشدائد، والمتأزِّم المتألم لأزمة الزمان وشدته [٣]. ولا يخرج المعنى الاصطلاحي لمفهوم الأزمة عن معناها اللغوي، حيث تعرف بأنها: «تهديد خطير يمكن أن يعصف بأهداف وقيم ومعتقدات وممتلكات الأفراد أو المنظمات والدول، سواء أكان الخطر متوقعًا أو غير

---

(١) مسند الإمام أحمد، باب مسند أنس بن مالك، ج:١٩، ص: ٣٧٥. رقم ١٢٣٨٣.

(٢) د. محمد شقير، أين نحن من المنظومة الأخلاقية الدينية، ٢٤-٣-٢٠١٨م http://www.alkawthartv.com.
Majid,k.(2017). Taha jabir al- ALWani: Astudy of his views on ethics of disagreement in Islam Journal of Religion and Health , 56 (1) , 47-54. Doi:10.100/ 10943-015-0066-x.

(٣) لسان العرب، ج:١٢، ص:١٨،١٧، مرجع سابق.

متوقع»[1].

وأنها: «حالة حرجة غير مستقرة، تُشَكِّلُ تهديدًا غير متوقع على الفرد والمجتمع، وما يتعلق بهما، تتطلب سرعة اتخاذ القرار المناسب لمواجهتها»[2].

واتفق كثير من العلماء والباحثين على التعريف الثلاثي للمفكر (تشارلز هيرمان) من مدرسة صنع القرار والمعروف باسم مثلث الأزمة والذي يقول: إن الأزمة هي: موقف مفاجئ أو (المفاجئة) ينطوي على درجة عالية من التهديد للأهداف والقيم والمصالح (للأطراف)، ويدرك فيه صانع القرار أن الوقت المتاح لصنع القرار واتخاذه ضيق أو قصير وغير كاف لاتخاذ التدابير اللازمة لهذا الموقف، على أن يكون في إطار من نقص أو غموض المعلومات»[3].

وأعرف الأزمة تعريفًا إجرائيًّا بأنها: موقف شديد متنوع الأشكال والأهداف حقيقي أو مصطنع يمثل تهديدًا للفرد أو المجتمع يتسم بالغموض والفجاءة غالبًا ويحتاج لمنهجية سريعة في التعامل معه لتفاديه أو التقليل من آثاره والخروج منه.

وقد ورد في القرآن الكريم مفردات فيها دلالة ضمنية على مفهوم الأزمة، مثل الفتنة، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال ٢٥] والكرب ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ. وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء ٧٥-٧٦]، والمصيبة ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران/١٦٥] والبلاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ. وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات/١٠٦-١٠٧] والغمّ، قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء/٨٨].

وتتصف الأزمة بسمات منها:

(١) علي محسن الخضيري إدارة الأزمات منهج اقتصادي إداري لحل الأزمات على مستوى الاقتصاد القومي والوحدة الاقتصادية، (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٣)، ص:١١٣.

(٢) محمد الزغبي، إدارة الأزمات في السنة النبوية "حادثة الإفك نموذجا"، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية. ١٤٣٥،٢٠١٤) مجلد:١٠، الأردن العدد: ٣، ص:١٣٨.

Tarvydas,v.M.,L.L.,&Teahen, p.R.(2017).Ethical guidelines for mass trauma and complex humanitarian emergencies. Journal of counseling and/ Development,95 (3),260-268.doi:10.1002/jcad.12140

(٣) دور القيادة في إدارة الأزمة، ص: ٥٠.مرجع سابق.

١- الفجاءة: حيث تقع أغلب الأزمات دون توقُّع، فتربك المستهدَف من الأزمة.

٢- التهديد: ويحدث للفئة المستهدفة من الأزمة، ويتحدد نوع التهديد وقوته على نوع الأزمة وقوتها.

٣- التأثير: ينتج عن الأزمة تغييرات إيجابية أو سلبية مباشرة، أو غير مباشرة مادية أو معنوية. وغالبًا ما يمتدُّ التأثير إلى ما بعد الأزمة.

٤- الغموض: فالأزمة يلازمها نقص في المعلومات غالبًا، فيسبب هذا غموضًا مرحليًّا يزول بعد التحقق من الأزمة وسبر أغوارها.

وتتباين أسس تصنيف الأزمات من حيث مراحل دورة حياة الأزمة، أو معدل تكرار الحدوث، (ذات طابع دوري متكرر، أو طابع فجائي عشوائي) وعمق الأزمة (عميقة جوهرية وهيكلية التأثير، وغير عميقة وهامشية التأثير)، أو شدة الأزمة (عنيفة جامحة، وهادئة ضعفة)، أو الشمول والتأثير (شاملة لجميع أجزاء المنظمة، وأخرى تصيب جزء «أو أجزاء" محددة من المنظمة)، أو محور الأزمة (مادية، معنوية، أو الاثنين معاً)، أو مستوى الأزمة (على مستوى الدولة، وعلى مستوى المنظمة)»[١].

كما أنها قد تكون فردية أو جماعية أو دولية أو عالمية، كذلك تطول كافة مناحي الحياة سواء أكانت نفسية أم أخلاقية أم سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية...الخ". ولذلك تم تناول الأزمات من جوانب كثيرة تباينت حسب نوع المجال الذي تتناوله.

والحديث هنا عن أخلاقيات الأزمة لا يخص نوعًا دون آخر، وإنما هي أخلاقيات عامة تصلح للاستعانة بها واعتمادها في كافة أنواع الأزمات مهما كان حجمها أو طبيعتها أو مجالها.

وتمر الأزمة عادة بمراحل عدة قسمها بعض الباحثين لخمس مراحل[٢]. وآخرون لسبع [٣]. وهذه التقسيمات ترجع للرغبة في تفصيل مراحل الأزمة حسب نوعها وطبيعتها، ومراعاة للاختصار غير المخل رأيت الاقتصار على ثلاث مراحل، تمثل المراحل الأساسية لأي أزمة منذ بدايتها وحتى نهايتها، وهذه المراحل هي:

(١) إدارة الأزمات منهج اقتصادي إداري لحل الأزمات على مستوى الاقتصاد القومي والوحدة الاقتصادية، ص: ٧١-٧٢.مرجع سابق.

(٢) يوسف أحمد أبو فارة، إدارة الأزمات مدخل متكامل، (عمان: دار الثراء للنشر والتوزيع،٢٠٠٩)، ص: ٢٨،٣٠/ الإدارة الاستراتيجية وإدارة الأزمات، عدنان أبو قحف (القاهرة: دار الجامعة الجديدة،٢٠٠٦)، ص ١٣٥-١٣٧.

(٣) أسامة منصور السواح ص:١٣٧.

١-مرحلة التكوين والميلاد.

٢-مرحلة الانفجار والشدة.

٣-مرحلة الانحسار والانتهاء. ولا بد من التأكيد على أمور عدة منها:

١- قد تموت الأزمة في مراحلها الأولى خاصة إذا وُجِد الاستعداد الجيد لمواجهتها والحيلولة دون تطورها، وعلى ذلك فليس بلازم أن تمر الأزمات بهذه المراحل الثلاث.

٢- تتنوع مرحلة ميلاد الأزمة إلى نوعين: ولادة طبيعية ناتجة عن أسباب حقيقية، وأخرى مصطنعة نتيجة خَلْقٍ لأزمةٍ لم يكن لها وجود، إلا أن استمرار الأزمة لا يعتمد على كونها حقيقية أو مصطنعة، وإنما يعتمد على أسلوب المواجهة والقدرة على تجاوزها، فقد تستمر أزمة مختلَقَة أكثر من استمرار الأزمات الحقيقية، إما لقوة الإعداد والدعم والتأييد لها، أو للفشل في مواجهتها من قِبَل المقصود بهذه الأزمة.

٣- لكل مرحلة من هذه المراحل أخلاقًا تناسبها، تؤدي إلى مواجهتها ودحرها أو على الأقل التقليل من آثارها السيئة.

٤- اخترت هذه الفضائل دون سواها؛ لأهميتها في التعامل مع الأزمات؛ ولما لكل خُلق منها من أثر مهم في المرحلة التي وضع فيها من مراحل الأزمة، فلا يقوم خُلق غيره بدوره، ولا يمكن أن يحلّ محلّه وأما ملازمة خلق لغيره في مرحلة من المراحل فهذا يتوقف على طبيعة الأزمة.

٥-النص على أخلاق أي مرحلة من هذه المراحل لا يعني الاستغناء عنها في المراحل الأخرى، وإنما يعني شدة الاحتياج إليها في هذه المرحلة، والإشارة إلى آثارها الفعالة فيها. وأن الالتزام بها في كل مرحلة يؤدي إلى تفادي تصعيدها والإسراع في التخلص منها.

٦-ذكر خُلُق معين في البحث لا يعني استقصاء هذا الخلق وتفريعاته، وإنما يتم الاقتصار على ما يخدم البحث وما له علاقة بموضوعه فقط.

٧-عدم الاهتمام بهذا المنهج الأخلاقي في التعاطي مع الأزمات يزيد من خطورتها وآثارها السلبية.

٨-تنعكس الآثار السلبية الأخلاقية على مُصَدِّري الأزمات ومُصَنِّعيها، حيث تتعدى حجم الخسائر المنظورة إلى آثار أخرى تتعلق بالقيم والأخلاق التي يتم التضحية بها -من طرفي الأزمة أو أحدهما-في سبيل كسب انتصار مؤقت في أزمة عابرة.

المبحث الأول: الأخلاق في بدء الأزمة

ترجع أهمية هذه المرحلة في أنها المرحلة التي يمكن فيها تفادي الأزمة وعدم حدوثها والعمل على إنهائها ساعة ظهورها.

(فدائمًا ما يتحدث الخبراء عن المراحل الأولى للأزمة، وعن إمكانية تفاديها، ويذكرون في ذلك التنبؤ والاستعداد والتنظيم والمواجهة)[١].

وتتميز هذه المرحلة (بَدْء الأزمة) بعدم توفر المعلومات الكافية عن الأزمة، ولو توفرت مثل هذه المعلومات لأمكن تجنب حدوثها، أو على الأقل تخفيف نتائجها إلى أقصى حدٍّ ممكن؛ (لأن المعلومات الدقيقة والصائبة توفر الأرضية المناسبة لصانع القرار لكي يتخذ القرار الصائب في الوقت المناسب)[٢]. ولم يشر الكثيرون إلى العوامل الأخلاقية الملازمة لهذه المرحلة سواء أكانت هذه الأخلاقيات من مثيري الأزمة، أم من المقصودين والمتأثرين بها، وهذا يؤدي بلا شك إلى مواجهة قاصرة.

وهذه بعض الأخلاقيات التي تسهم في ذلك وهي: ١-الصدق ٢- الحلم والتأني ٣-والصبر ٤-الحكمة.

أولا: خلق الصدق

يوصي الله سبحانه وتعالى المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة/ ١١٩] ويقول الرسول ﷺ: «عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة»[٣] و(الصدق منجاة)، كلمة مأثورة تنبئ عن عاقبة الصدق في الدنيا والآخرة، كما قال سفيان الثوري فيما أوصى به علي بن الحسن السلمي: «عليك بالصدق في المواطن كلها، وإياك والكذب والخيانة ومجالسة أصحابها فإنها وزر كله»[٤]. ويقول الحكيم:

وفي الحلـم ادِّهانٌ وفي العفـو دريةٌ وفي الصدق منجاة من الشر فاصدق له [٥]

(١) مهارة إدارة الأزمات والكوارث والمواقف الصعبة، ص: ٢٢٥.مرجع سابق.

(٢) إدارة الأزمات في السنة النوية "حادثة الإفك نموذجا"، ص:١٤٤. مرجع سابق.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله ٤\٢٠١٢ حديث رقم ٢٦٠٧.

(٤) أبو نعيم بن عبد الله بن أحمد بن إسحق بن موسى بن مهران الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (بيروت: ط دار الكتاب الكلمة، ١٤٠٩، د. ت)، ج: ٧، ص: ٨٢.

(٥) أمثال الحديث المروية عن النبي ﷺ أبو الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمزي (١٤٠٩ ه- ١٩٨٨م)، ص: ٤١٧ ط ١، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.

وتحتاج الأزمات للصدق من بدايتها إلى نهايتها؛ لتدعيم الثقة بالنفس، ولكسب ثقة الآخرين، فقد يطول أمد الأزمة، فيحتاج المرء لأعوان له على الحق، وسيكون الصدق من أكبر الأعوان؛ لكسب المناصرين والداعمين. ومن ثم يعد الصدق مهما في المنهج الإسلامي منذ بداية الأزمة وحتى تنجلي غواشيها.

والمسلم الحق يتحرى الصدق ديانة لله تعالى ابتداءً؛ ولتفادي السقوط في آثار الكذب البغيضة، فكم من أزمة بُنيت على الكذب كانت سببًا في ضياع شخصيات، وانهيار مؤسسات وسقوط حكومات ودول.

وللتعبير عن بعض صور الاختلاق ظهر مصطلح (الإدارة بالأزمات) ويُقصد به صناعة الأزمة وافتعالها كساتر لمشكلة أو لأزمة أخرى خفية أكبر من الأزمة الحالية، أو لتحقيق أهداف أخرى من ورائها.[1]

ويعتمد هذا النظام (الإدارة بالأزمات) على الكذب المحض؛ لتسويغ عمل غير أخلاقي ضد غيره، فردًا كان أو جماعةً، أو دولةً. معتمدًا على ترويج الإشاعات وحشد الحلفاء لتأييدها وتصديقها والتعاون بصددها، وكأنها حقيقة واقعة، مع أنها محض افتراء ولا أساس لها من الصحة.

وهذه توضح بجلاء أن التخلي عن سمة الصدق كقيمة أخلاقية رفيعة قد يؤدي إلى خلق أزمة لم يكن لها وجود أصلاً؛ لتصبح حديث الساعة وشاغل الناس الأول.

وقد كثر هذا النوع من الكذب من قِبَل الدول الكبرى في العالم لتمرير مصالحها ولَفْت الأنظار بعيدًا عما ترتكبه من جرائم، أو لتسويغ سطوها واعتدائها على دول أخرى، كما تدير بعض الأنظمة الفاشلة البلدان بها، لصرف انتباه الشعوب عن الفشل المتلاحق لتلك الأنظمة في إدارة البلاد، أو للتغطية على فساد كبير لا تريد هذه الأنظمة فضحه أو تسليط الأضواء عليه، كما أن هذا متَّبع لدى بعض الأفراد للغايات السابقة نفسها. والتي تعتمد على الكذب والافتراء أداة طيعة لتنفيذ مرادها[2].

---

(١) مهارة إدارة الأزمات والكوارث والمواقف الصعبة، ص: ٣٠.مرجع سابق.

(٢) انظر تقرير وكالة يقين للأنباء بعنوان: قرار احتلال العراق كان خاطئا ومتسرعا!!!...هذا ما خلصت إليه لجنة تشيلكوت بعد ١٣ عاما على دمار البلاد، وجاء في هذا التقرير: «أكثر من ١٣ سنة مرت على غزو العراق واحتلاله، خلفت ما خلفت من الدمار والدماء والتشريد، وجعلت من العراق بلدا منهكا ممزقة أشلاؤه، ذلك الغزو الذي قام على أكاذيب وذرائع واهية ومعلومات مغلوطة، ساقها صناع قرار غزو العراق آنذاك للرأي العام العالمي، وهو ما خلص إليه تقرير اللجنة المكلفة بالتحقيق في دور بريطانيا في احتلال العراق، أو ما تعرف بلجنة تشيلكوت.

رئيس اللجنة "جون تشيلكوت" الذي خرج تقريره إلى النور بعد سبع سنوات من التحقيق، اعتبر أن قرار الاحتلال لم يكن صائباً، وقال تشيلكوت إن بريطانيا دفعت باتجاه احتلال العراق قبل الخيار السلمي، مشيرا إلى أن تقرير حجم تهديد أسلحة الدمار الشامل العراقية جاء دون مبررات مؤكدة». (http://net.yaqein.com/reports/5234 تاريخ الاقتباس ١-٨-٢٠١٧م).

وتُعَدُّ الشائعات من أهم أدوات صناعة الأزمة ويمكن القول: «بأن الشائعات أصبحت علمًا قائمًا بذاته له نظرياته ومبادئه العلمية التي تُشَكِّله. وأصبح للشائعات صدى علمي في العلوم الأخرى ومتصلة به مثل: العلوم السلوكية، والعلوم الإدارية، وكافة العلوم الإنسانية والاجتماعية»(١).

ولا يخفى ما للشائعات من آثار ضارة على الأفراد والمجتمعات خاصة في وقت الأزمات، فهي تعمل على إثارة العواطف، وبلبلة الأفكار، ونشر الأكاذيب، وتزييف الحقائق.

ومما يزيد من قدرة الشائعات على التأثير، وجود أفراد أو فئات أو دول عندها الرغبة في تصديق هذه الشائعات رغم ظهور زيفها؛ لكونها تحقق رغبات مكبوته، ومتنفَّسًا عن آمال لم يستطيعوا تحقيقها في عالم الواقع الحقيقي، فيوجد من الناس من تستهويه شائعة عن عدو له لا يقدر على الانتصاف منه، أو شائعة سارة عن أمر يرجوه، ولكن إمكاناته لا تؤهله لنواله، فيصدقها بلا روية ولا تفكير.

ومما يساعد على تحجيم الشائعات ودحرها وإبطال مفعولها تلك التوجيهات الأخلاقية الإسلامية التي ترشد إلى عدم تصديقها وتحذر من نقل الأحاديث إلا بعد التثبت منها، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات/٦] ومثل قول الرسول ﷺ: «كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع»(٢). وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: (كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ما سمع "(٣). قَالَ النَّوَوِيّ: فَإِنَّهُ يَسْمَع فِي الْعَادَة الصِّدْق وَالْكَذِب فَإِذَا حَدَّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ فَقَدْ كَذَبَ لإِخْبَارِهِ بِمَا لَمْ يَكُنْ، وَالْكَذِب الإِخْبَار عَنْ الشَّيْء بِخِلاَفِ مَا هُوَ وَلا يُشْتَرَط فِيهِ التَّعَمُّد لَكِنَّ الْتَّعَمُّدَ شَرْطٌ فِي كَوْنِهِ إِثْمًا)(٤).

وعن المغيرة بن شعبة قال: قال النبي ﷺ: «إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنع وهات، وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال»(٥). وعن أبي قلابة قال: قال أبو مسعود لأبي عبد الله أو قال أبو عبد الله لأبي مسعود: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول في زعموا ؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بئس مطية الرجل

(١) مهارة إدارة الأزمات والكوارث الصعبة، ص: ٨٥٢.مرجع سابق.

(٢) صحيح مسلم ج:١، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، ج:١، ص: ١٠، رقم ٤.

(٣) سنن أبي داود، باب في التشديد في الكذب، ج:٤، ص: ٢٩٨، رقم ٤٩٩٢.

(٤) أبو زكريا محيي الدين يحي بن شرف النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، (بيروت: دار إحياء التراث العربي،١٣٩٢)، ط:٢، ج: ١ص: ٧٥.

(٥) صحيح البخاري، كتاب في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب ما ينهى عن لإضاعة المال، ص: ٣ص: ١٢٠. رقم ٢٤٠٨.

زعموا»[1]. وقال ابن عمر رضي الله عنهما: «إياكم والفتن فإنَّ وَقْعَ اللسان فيها مثل وقْع السي»[2].

وقد تثبَّت رسول الله ﷺ عندما حدثت حادثة الإفك، فأخذ رأي الصحابة شيبًا وشُبَّانًا رجالاً ونساء، أمثال علي، وأسامة بن زيد، وعمر، ومن النساء بريرة (والتي كانت جارية مع السيدة عائشة في البيت)، وزينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عن الجميع، ولعل النبي ﷺ خصها من بين سائر نسائه بالاستشارة، لأن أختها حمنة كانت تتقوَّل في هذه الفتنة؛ فلعل أختها يكون عندها من المعلومات ما لا يوجد عند غيرها، أو أن حمنة تقول هذا الكلام نقلا عن أختها زينب.

وهذه أجزاء من الحديث الذي روته صاحبة القصة السيدة عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ «فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ يَسْتَأْمِرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ قَالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ وَبِالَّذِي يَعْلَمُ لَهُمْ فِي نَفْسِهِ مِنَ الْوُدِّ، فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَهْلَكَ وَلا نَعْلَمُ إِلا خَيْرًا. وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَإِنْ تَسْأَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ»[3].

وفيه دعوته ﷺ لبريرة قَالَتْ: "فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ، فَقَالَ: أَيْ بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ؟ قَالَتْ بَرِيرَةُ: لا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُه "[4].

وكذلك استشارته لزوجته زينب بنت جحش «كان رسول الله - ﷺ - يسأل زينب ابنة جحش عن أمري، فقال: يا زينب: ماذا علمت أو رأيت؟ فقالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، ما علمت إلا خيراً، قالت: وهي التي كانت تُساميني من أزواج رسول الله - ﷺ - فعصمها الله بالورع، وطفقت أختها (حمنة) تحارب لها فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك»[5].

فالتثبُّت من الأقوال وعدم ترديدها مباشرة فيه تحجيم لآثار الكذب، أو توسيع دائرة تأثيره السيىء، وهذا أمر عام في صغير الأمور وكبيرها على السواء؛ ولذلك كان «التطاول والإقدام وإعطاء أنفسنا الحق في القول في أكثر القضايا

(١) سنن أبي داود، باب في قول الرجل زعموا، ٤/ ٢٩٤، رقم ٤٩٧٢.

(٢) أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير وزياداته، (المكتب الإسلامي، د.ت) ص: ٣٢٥.

(٣) صحيح البخاري، كتاب: الشهادات، باب: تعديل النساء بعضهن بعضا،٣/ ١٧٣.رقم:٢٦٦١.

(٤) صحيح البخاري، كتاب: الشهادات، باب: تعديل النساء بعضهن بعضا،٣/ ١٧٣.رقم:٢٦٦١.

(٥) صحيح البخاري، كتاب: الشهادات، باب: تعديل النساء بعضهن بعضا،٣/ ١٧٣.رقم:٢٦٦١.

تعقيدًا - حتى لا نُتَّهم بالجهل - خاصةً ممن يضعون أنفسهم في محل القدوة، دون امتلاك التخصص والأدوات والخبرة والمهارة ينمِّي التخلُّف، ويزيد الخبال، ويؤدي إلى جعل الإشكالية أو الأزمة أكثر تعقيدًا وأعقد تركيبًا»[1].

ومما يدل على الآثار الإيجابية للصدق وقت الأزمات قصة ثلاثة من الصحابة وهم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، والذين تأزَّمت أحوالهم بسبب تخلُّفهم عن الجهاد مع رسول الله ﷺ، فألزموا أنفسهم بالصدق، فقَبِلَ الله توبتهم، وجعل لهم فرجًا ومخرجًا، وما ذلك إلا ببركة الصدق قال تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة/١١٨-١١٩] ويستخلص كعب بن مالك رضي الله عنه عِبْرَة كبرى من أزمته، وهي أنه عايشها بخُلق الصدق، فقال: يا رسول الله: إنما نجاني الله بالصدق، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقًا ما بقيت "[2].

وتجدر الإشارة إلى أن الحق -عز وجل- أرشد المسلمين لهذا الخُلق ودوره في النجاة من كل بلية وأزمة في ختام هذه القصة مباشرة فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة/ ١١٩]، لذلك كان صدق الزوجة عندما يحدث بينها وبين زوجها أزمة من أي نوع كانت؛ يرسي دعائم الثقة بينهما حتى ولو كانت مخطئة. وصدق الأمير مع رعيته عند المُلمّات يجعلهم ينتظرون حديثه بلَهَفٍ عند كل مُلِمَّةٍ لمعرفة معالم الأزمة وخفاياها، كما أن صدق العالم في فتواه ساعة الأزمة نور على طريق السالكين يهتدون به حتى ولو مات العالم.

وكم ترحمت الأمم على أمراء وعلماء وآباء وأمهات وزعماء لزموا طريق الصدق عند الملمات ولم يفتروا الكذب، فكانوا سببًا في دفع الشر عن ذواتهم وعن مجتمعاتهم، وهؤلاء مدحهم الله تعالى في قوله: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً. لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب/ ٢٣-٢٤] فالصدق منجاة وخاصة وقت الأزمات.

ثانيًا: خلق التأني والحلم

إن الأزمات في بدايتها تكون في تشابكها مثل نسيج العنكبوت لا يرى أوله من آخره، فإذا ما تأنَّى المرء عليها، تجلَّت بواطنها، واستبانت غوامضها، واستطاع المرء تجميع قوته والإحاطة بها من جميع جوانبها. لذلك تحتاج الأزمات في

(١) إدارة الأزمة مقاربة التراث والآخر، ص: ١٤، مرجع سابق.

(٢) صحيح البخاري، باب حديث كعب بن مالك وقول الله تعالى ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾،ج: ٦، ص: ٣، رقم ٤٤١٨.

بدايتها للتأنِّي، وكم من عجول قليل الصبر، أدَّت به عجلته للتخبط وافتقاد البصيرة الهادية، وربما اقترف المحظورات. فعن الأحنف بن قيس قال: «ما سمعت بعد كلام رسول الله ﷺ أحسن من كلام أمير المؤمنين على حيث يقول: إن للنكبات نهايات، لا بد لكل أحد إذا نكب من أن ينتهي إليها، فينبغي للعاقل إذا أصابته نكبة أن ينام لها حتى تنقضي مدتها، فإن في دفعها قبل انقضاء مدتها زيادة في مكروهها.

وفي مثله يقول القائل:

الدهـــر يخنـق أحيانـا قلادتـه فاصـبر عليه ولا تـجزع ولا تثـب

حتى يفرجها في حال مدتها فقد يريد احتنانًا كل مضطرب»[1]

ولا يعني هذا ترك الأزمات حتى تكبر ويصعب احتواؤها فذلك في علم الإدارة أمر خاطئ، وإنما يستشعر المسلم بحسِّه وعقله أن من الممكن التغافل عنها بعض الوقت، فإما أن تزول بلا عناء، ودون تركيز الانتباه عليها-فإن في وضع بعض الأزمات في بؤرة الاهتمام قد يخرجها من حجمها ويعطيها زخمًا أكبر من قدرها-وإما أن يكون المرء قد أحسن فهمها والاستعداد لها.

كما تحتاج للحلم؛ لأن الأزمة صادمة بطبيعتها، وهذا يحفِّز الإنسان على رد فعل مضادٍّ لها، فإذا لم يتروَّ المرء ويفكر مليًّا قبل مواجهة الأزمة ربما يخطئ الهدف، ويعمِّق من الأزمة، بل قد يستحدث أزمات أخرى، ويفسد من حيث أراد الإصلاح، فالأزمات في بدايتها تتَّسم بالغموض وقلة المعلومات والتناقض أحيانًا؛ ومن هنا وجب عدم التسرّع في إصدار الأحكام، أو الاستجابة لداعي الغضب والرغبة في الرد وربما الانتقام. (وفي هذه المرحلة لا بد من محاصرة الأزمة، ومحاولة احتوائها، ومنع تفاقمها من خلال التركيز الشديد، وضبط النفس، واستجماع القوى، والتفكير السليم، وقد يتطلَّب الأمر اعتزال الحدث لفترة معينة من أجل التركيز في الحلول الممكنة واتخاذ القرار السليم دون ضغوطات خارجية؛ لأن بقاءه في خضم الأحداث قد يفقد السيطرة على تصور الأمور بشكل سليم ودقيق)[2].

وهذا الحلم حميد لكل الناس وخاصة من لا يستطيعون التحكم في مشاعرهم ويستبد بهم الغضب فيرسبون عند

(١) أبو بكر البيهقي، شعب الإيمان، فصل في ذكر ما في الأوجاع والأمراض، (الهند: مكتبة الرشد بومباي، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م)، ج:١٢، ص:٣٩٣، رقم ٠,٩٦١٦

(٢) إدارة الأزمات في السنة النبوية،١٤٦، مرجع سابق.

أول اختبار لهم. وأمثال هؤلاء أرشدهم النبي ﷺ بقوله: «لا تغضب»[١].

فالحالة النفسية للغضبان تجعله يدرك الوقائع على صورة مغايرة لما يدركها الإنسان في حالته الطبيعية، ومن هنا لا ينبغي اتخاذ القرارات في لحظات تشويش الذهن، ولقد قال الرسول ﷺ: «لا يقضي القاضي بين اثنين وهو غضبان»[٢]. وفي الحديث أيضا «إذا استشاط السلطان تسلط الشيطان»[٣]. ذلك أن الغضب يمنع دقة التحليل، وتكون النتائج متأثرة بالحالة النفسية، وليست معتمدة على الحقائق الموضوعية، ومن هنا إذا تلهّب السلطان وتحرَّق غضبًا «تسلط الشيطان أي تغلب عليه، فأغراه بالإيقاع بمَنْ يغضب عليه حتى يوقع به فيهلك، فليحذر السلطان من تسلُّط عدوه عليه، فيستحضر أنَّ غضب الله أعظم من غضبه، وأن فضل الله عليه أكبر، وكم عصاه وخالف أمره ولم يعاقبه، ولم يغضب عليه، وليرد غضبه ما استطاع، ويتيقظ لكيد الخبيث فإنه له بالمرصاد»[٤].

ثالثا: خلق الصبر

الصبر هو حبس النفس عن الجزع، وعلى ما تكرهُهُ، وتحتاج الأزمات لخُلق الصبر حتى تنجليَ ظلماتها وتُحَلَّ معضلاتُها، فقد قال النبي ﷺ: «الصبر ضياء»[٥]. ومعنى الضياء هنا (النور القوى ومستعمله يرى طريق الرشد، وتاركه تدركه ظلمات الجزع)[٦]. وتتجلى فوائد الصبر في الأزمات في كونه بداية النصر. يقول الرسول ﷺ: «وأن النصر مع الصبر»[٧]. فالنصر كما يقال: صبر ساعة. وأشد ساعات الاحتياج للصبر عند بداية الأزمات، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم «إنما الصبر عند الصدمة الأولى» فهذا الذي يثبت به الأجر العظيم.

ويتلازم خلق الصبر مع خلق الحلم والأناة في بداية الأزمات؛ للوقاية من الخطأ في إدراك معالم الأزمة؛ وتلقِّي بوادرها برباطة جاش وثبات على الحق واغتنام الوقت في معرفة العدو من الصديق. وهو دلالة على قوة الإنسان، ورباطة جأشه، وشدة بأسه، قال تعالى: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [الشورى/٤٣]، كما أن الصبر طريق مأمون العواقب رغم أن صاحبه يتجرع مرارة التحمل وانتظار الفرج، يقول الحكيم:

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، ج:٨، ص: ٢٨، رقم ٦١١٦.
(٢) سنن ابن ماجه كتاب الأحكام، باب لا يحكم الحاكم وهو غضبان، ج:٢، ص: ٧٧٦، رقم ٢٣١٦.
(٣) مسند أحمد، حديث عطية السعدي: ج: ٢٩، ص: ٥٠٤، رقم ١٧٩٨٤.
(٤) عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير، (مصر: المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٥٦م)، ج:١، ص:٢٧٥.
(٥) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، ج: ١، ص: ٢٠١٣، رقم ٢٢٣.
(٦) كشف المشكل من حديث الصحيحين، ابن الجوزي، (الرياض: ط: دار الوطن)، ج: ٤، ص:١٥٥.
(٧) مسند أحمد، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ج: ٥، ص:١٩، رقم ٢٨٠٣.

الصبر مثل الصبر مرٌّ مذاقته لكن عواقبه أحلى من العسل[1]

والصبر أسلوب من أساليب إدارة الأزمات، بمعنى: التعامل مع الأزمة على نحوٍ يقللُ أضرارها، ويحوِّل المحنة إلى منحة، والبلاء إلى عطاء. وشواهد الفكرة وفيرةٌ في التراث الإسلامي[2]، من ذلك قول الشيخ عبدالقادر الكيلاني:«إنَّ فِي اللَّهِ عَزَاءً مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ، وَخَلَفًا مِنْ كُلِّ هَالِكٍ، وَدَرْكًا مِنْ كُلِّ مَا فَاتَ، فَبِاللَّهِ فَثِقُوا... يَا بُنَيَّ الْمُصِيبَةُ مَا جَاءَتْ لِتُهْلِكَ، وَإِنَّمَا جَاءَتْ لِتَمْتَحِنَ صَبْرَكَ وَإِيمَانَك.. وَاعلَمَ أَنَّهُ لَوْلَا الْمَصَائِبُ لَبَطَرَ الْعَبْدُ وَبَغَى وَطَغَى فَيَحْمِيهِ بِهَا مِنْ ذَلِكَ وَيُطَهِّرُهُ مِمَّا فِيهِ، فَسُبْحَانَ مِنْ يَرْحَمُ بِبَلَائِهِ، وَيَبْتَلِي بِنَعْمَائِهِ، وكَمَا قِيلَ:

قَدْ يُنْعِمُ اللَّهُ بِالْبَلْوَى وَإِنْ عَظُمَت وَيَبْتَلِي اللَّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنِّعَمِ»[3]

ومن شواهد الصبر في الأزمات، صبر سيدنا يعقوب عليه السلام عندما فَقَدَ ولده يوسف u. حيث تعامل معها بخلُق الصبر، فقال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف/١٨] "أي سأصبر صبرًا جميلاً على هذا الأمر الذي اتفقتم عليه حتى يُفرِّجه الله بعونه ولطفه"[4].

ولأهمية هذا الموقف صار نموذجًا أخلاقيًّا في التعامل مع الأزمات تتجلى نتائجه البهية في رجوع يوسف لأبيه وانتهاء الأزمة الطاحنة في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف /٩٦] "إنها الصورة الباهرة لتجلي حقيقة الألوهية في قلب من قلوب الصفوة المختارة، وهي الايماء المناسب لفترة الشدة في حياة الجماعة المسلمة"[5].

ولقد كان صبر سيدنا يعقوب عليه السلام مثلاً مشرقًا للسيدة عائشة رضي الله عنها في أزمتها فاهتدت به حيث قالت: «فوالله لا أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف حين قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف/١٨]"[6]. أي: لا يسعني في هذا الموقف إلا الصبر والتسلم لأمر الله وانتظار الفرج والبراءة من الله تعالى، فهو الذي يبرئني وحده دون غيره وهو الذي يدافع عني دون سواه» [7].

(١) خلق الصبر، سلسلة الأخلاق، (قطر: إصدار وزارة الوقاف والشؤون الإسلامية، إدارة الدعوة ١٤٢٧ هـ-٢٠٠٦م،)، العدد٩، ص: ٢٥.

(٢) إدارة الأزمة في الفكر الإسلامي، ص٤٤، مرجع سابق.

(٣) أبو عبد الله محمد بن مفلح المقدسي، الآداب الشرعية، تحقيق شعيب الأرنؤوط. (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦)، ج: ٢، ص:١٨٢.

(٤) أحمد بن مصطفي المراغي، تفسير المراغي، (القاهرة: البابي الحلبي١٣٦٥ه-١٩٤٦م)، ط:١، ج:١٢، ص:١٢١.

(٥) سيد قطب، في ظلال القرآن، (القاهرة: ط دار الشروق، ١٤١٢ه)، ط: ١٧، ج: ٤ص: ١٩٦٥.

(٦) صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضا، ج:٣، ص:١٧٣، رقم ٢٦٦١.

(٧) حمزة محمد قاسم، منار القاري شرح مختصر البخاري، راجعة الشيخ عبد القادر الأرناؤوط، (دمشق: مكتبة البيان١٤١٠هـ-١٩٩٠م)، ج: ٤، ص:٤٠.

وقد تلاحقت الأزمات على خير البرية محمد ﷺ، فتسلح بالصبر حتى بلغ مراده ونال مناه، يقول رسول الله ﷺ: "لقد أُخِفْتُ في الله وما يخاف أحد، وقد أوذيتُ في الله وما يؤذى أحد، وقد أتت عليَّ ثلاثون ما بين يوم وليلة وما لي من طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال"[١].

إن مما لا ريب فيه أن الصبر عدَّةُ مَنْ لا عُدَّةَ له، سواء أكانوا أفرادًا أم جماعاتٍ أم دولاً، وكثير من المشكلات يكون مرور الزمان جزءًا من حلِّها، واستعجال النتائج سبيلاً إلى تعقيدها واستمرارها؛ لذا، لزم أن يتحلى صاحب كل أزمة بخلق الصبر، وما ضربته من أمثلة ما هي إلا نماذج للقدوة والتأسِّي، وإلا فكتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ فيهما من الأمثلة الكثير التي ترشد للصبر وتحث عليه.

ولا يعني الصبر هنا السلبية المفضية إلى الاستسلام بلا سلوك إيجابي يدفع البلاء ويسهم في تجاوز الأزمة، ولكن المعني هنا: الصبر بمعناه الصحيح البنَّاء الذي يعتمد على العمل النفسي مقرونًا بعمل الجوارح، وبذل الوسع، والأخذ بالأسباب الممكنة لتخطي الأزمة.

رابعًا: خلق الحكمة

تطلق الحكمة في اللغة على معانٍ عديدة، منها: العدل، والعلم، والنبوة، والقرآن، والإنجيل، والسُّنَّة. كما تطلق على العِلَّة،[٢] يُقال: حكمة التشريع. وهي: إصابة الحق بالعلم والعمل.[٣] وقيل هي: وضع الأشياء في مواضعها، ومنها الإصابة في القول والعمل معًا.

إن تعريف الحكمة يشمل تحليلها إلى العناصر المكونة لها، وهي على ما يبدو ثلاثة: الذكاء، والمعرفة الواسعة، والإرادة الصّلبة، حيث تكوِّن معًا الحكمة. وعلى مقدار كمال هذه العناصر يكون كمالها.

إن الذكاء بمفرده لا يجعل الإنسان حكيمًا، كما أن المعرفة دون ذكاء تجعل استفادة صاحبها منها محدودة، وتجعل وظيفته مجرد الحفظ والنقل، والمعرفة دون ذكاء تؤخر ولادة الموقف الحكيم. ولا يكفي الذكاء اللمَّاح، ولا الخبرة الواسعة في جعل الإنسان حكيمًا ما لم يمتلك قوة الإرادة إذ إنها وحدها هي التي تجعلنا ننصاع للأمر، وهي التي تنتج سلوكًا يختفي فيه الفارق بين النظرية والتطبيق.

(١) محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، تحقيق: محمد شاكر، (بيروت:١٣٩٥هـ- ١٩٧٥م)، ط: ١،ج: ٤، ص:٦٤٥، رقم ٢٤٧٢.

(٢) لسان العرب، مرجع سابق، ج: ٢، ص:١٤٠-١٤٣.

(٣) أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، البحر المحيط، (بيروت: دار الفكر ١٤٢٠م)، ج: ١، ص:٣٩٣.

والحكمة منها:

الحكمة التامة، وهي لمن اصطفاهم الله مِنْ خلقه من الأنبياء.

والحكمة الدنيوية، وهي التي تُكتَسب بالمران والممارسة والخبرة.

والحكمة المكتسبة، وهي لمن تعلم العلوم الشرعية والعمل بما فيها.

وتبدو أهمية الحكمة في الأزمات في أنها تُعطي القدرة على استشراف المستقبل، والحدس بأحداثه، ورسم صورة شمولية متكاملة عن الأزمة وتوابعها، ورسم الخطط الكفيلة بتفاديها من خلال إجراءات عملية محكمة؛ لذلك تعد الحكمة من الأخلاق اللازمة لإدارة أي أزمة صغرت أم كبرت. (١)

والحكيم هو من يقوم بتركيب المعرفة النظرية مع الخبرة العملية من أجل بناء وتشكيل المفهومات العامة للوصول إلى رؤية شاملة تتناغم فيها معطيات الماضي والحاضر والمستقبل. (٢)

وتتجلى قيمة الحكمة في التعامل مع الأزمات منذ بدايتها حيث تمنع صاحبها من استبداد الحماسة والاندفاع به فيتخطى حدود الصواب في القول أو العمل، فالحكمة تمكِّن مَنْ يتحلى بها من النظر في جميع جوانب الأزمة، والإحاطة بها علمًا، والاستفادة من ذلك عملا، ولا يُسمَّى الرجل حكيمًا إلا باجتماع النوعين معًا.

والحكمة تفيد في تقصي أسباب الأزمة وسبر أغوارها منذ بدايتها، والتخطيط للتعامل معها بما يُخفّف من آثارها ويقي الأفراد والمجتمع ويلاتها، بل واغتنامها في تطوير المجتمع وتحسينه إن أمكن، وتحصينه من تكرار الأزمة؛ ولذلك عدَّ القرآن الكريم الحكمة من أعظم المنن الإلهية على العبد قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة/ ٢٦٩].

ومن مواقف التاريخ التي تدل على الحكمة في مواجهة الأزمات موقف النبي -صلى الله عليه وسلم- قَبْل البعثة، في حكمه بين قبائل قريش عند اختلافهم في رفع الحجر الأسود الي موضعه، وذلك حين أعادت قريش بناء الكعبة علي أساس قواعد ابراهيم عليه السلام حتي بلغ البنيان موضع الركن فأرادت كل قبيلة أن ترفع دون

(١) د. يعقوب عادل ناصر الدين، مفهوم الحكمة شرعا ووضعا، جامعة الشرق الوسط (الأردن: ٢٠١٣) ص:٣.
منشور على الإنترنت. http://www.yacoubnasereddin.com

(٢) د. عبد الكريم بكار، ومن يؤت الحكمة، ٢٣-٣-٢٠١٨م، http://www.saaid.net/Doat/bakkar/019.htm

الأخرى، فاختصموا وأوشكوا علي الاقتتال، ولما أخبروا رسول الله صلي الله عليه وسلم الخبر، قال: هلمَّ إلي ثوبًا، فأُتي به، فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال: لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعًا ففعلوا حتي إذا بلغوا موضعه وضعه هو بيده الشريفة ثم بني عليه[1].

فهذه التصرف الحكيم وقى مكة من أزمة كادت تعصف بهم، بل اغتنم الفرصة وعلمهم إمكانية التعاون والتلاحم في نيل الأجر والشرف بلا منازعة تُفضي للتقاتل.

المبحث الثاني: الأخلاق أثناء الأزمة

الأخلاق قيمة نوعية في التعامل مع الأزمات خاصة إذا كانت الأخلاق قاسمًا مشتركا بين كل الديانات، والانسلاخ الكبير من منظومة الأخلاق والقيم أثناء الأزمات يجعل بعض أطراف الأزمة يفجرون في الخصومات ويتخلون عن النزاهة والمصداقية والشفافية، ويساعدون على تحويل الأزمات إلى صراعات دامية وحروب طاحنة وكوارث متلاحقة، كما تمدُّ في أمدها، وتجعل محو آثارها بالكلية أمرًا بعيد المنال، وربما يحتاج لعقود من الزمان.

وذكر هذه القيم والأخلاق الإسلامية في التعامل مع الأزمات عندما تصير أمرًا واقعًا، يكمن الهدف منه في الاقتداء والتأسي، شريطة تماثل الأحوال والظروف، مما يعطي القدرة على تحجيم الأزمة، والتنبؤ بمستقبلها وتطورها.

لذلك وجب أن يكون البعد الأخلاقي حاضرًا وبقوة أثناء التعامل مع أي أزمة صغرت أم كبرت، وأن يُوضع هذا البعد الأخلاقي فوق كل اعتبار، ويسهم في ذلك التأكيد على أطراف الأزمة على أن الواجبات لابد وأن تتقدم على الحقوق، تفاديًا للفوضى أو الجنوح إلى سلوك غير أخلاقي.

ومن الأخلاق المطلوبة أثناء الأزمة: ١-العدل ٢-الأمانة ٣-الوضوح في المواقف ٤-التفاؤل والأمل ٥-الوفاء بالعهد ٦-الشجاعة ٧-الرحمة والعطف.

أولاً: خلق العدل

العدل يُثبِّت الحقوق، ويطمئن النفوس، ويغلق منافذ الشيطان. كما أن الظلم عاقبته وخيمة، وآثاره ذميمة.

واحتياج الناس للعدل في حياتهم لا غنى عنه، وهم في أزماتهم أشدُّ احتياجًا؛ لما للعدل من دور بارز في ضبط

(١) عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، السيرة النبوية، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠١هـ-١٩٩٠ ط:٣) ج:١، ص:١٨٢.

العلاقات بين الناس على أساس من الإنصاف، ومنع التعدي على الحقوق، وإنصاف المظلوم، وردع الظالم، وقطع دابر الخلاف.

وقد ورد في السنة المطهرة أمثلة كثيرة في العدل وقت الأزمات، وبينت ما له من دور في حسن إدارتها والمسارعة لإنهائها.

فقد تأزَّمت مكة يوم أن سرقت المرأة المخزومية واستشفع الناس بأسامة بن زيد -رضي الله عنهما- للحيلولة دون إقامة الحدِّ، فما كان من النبي ﷺ إلا أن قال: "أتشفع في حد من حدود الله، ثم قام فخطب ثم قال: إنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها"[1].

فالمجتمع قد يتأزم لارتكاب أحد أفراده من عِلْيَةِ القوم جريمة يستحق عليها حدًّا من حدود الله، فيرقب الناس القضاء والحاكم بأعينهم وينتظرون نهاية الأزمة، فإذا وفَّق الله القاضي والحاكم ليقيم ميزان العدل، فهذا سلوك يُحمدُ عليه؛ لأن العدل غاية رسالة السماء لأهل الأرض، وبه تتقدم المجتمعات، وتثبت القيم، وإذا حدث غير ذلك، فالعواقب جسيمة.

كما أن اختلال ميزان العدالة نذير شر مستطير؛ لذلك، «وجب على ولاة الأمر أن يكون الناس عندهم سواء في إقامة الحدود وألا يحابوا أحدًا لقربه أو غناه أو لشرفه في قبيلته أو غير ذلك» [2].

وقد كان عدل النبي في هذه الأزمة من أفضل أنواع التعامل، حيث ثبَّت ميزان العدالة بين الناس، فأذهب الأزمة وثبَّت معالم الشرع.

والعدل في الحدود حسب الشريعة من الأخلاق التي تمسّك بها سيدنا يوسف عليه السلام في تعامله مع الأزمة التي حلَّت بمصر وهي أزمة القحط، فلما قال إخوة يوسف: ﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف/٧٨] رد عليهم يوسف بأن العدل لا يقتضي ذلك، قال تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾ [يوسف/٧٩]، فالعدل يقتضي ألا يُجازَى إلا مَن اقترف الإثم.

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود، ج: ١، ص: ١٩٢، رقم ١٦٨٨.

(٢) محمد بن صالح بن محمد العثيمين، شرح رياض الصالحين، (الرياض: ط دار الوطن للنشر، ١٤٢٦ ه)، ج: ٦، ص: ٥٢٠.

والعدل مطلوب من الراعي والرعية وقت الأزمات في المغانم والمغارم على السواء، فهذا يشعر الجميع بأنهم في سفينة واحدة؛ نجاتها نجاة للجميع، وغرقها هلاك للكل، وقد ضرب الخليفة عمر بن الخطاب مثلاً رائعًا في عدله في حياته كلها، وفي وقت الأزمات خاصة، وقد كان عام الرمادة أزمة كبيرة شملت الجزيرة العربية لمدة تسعة أشهر، فكان عمر فيها المثل والقدوة في قيادة الأزمات بمنظومة قيمية أخلاقية راقية، ومنها خلق العدل، فتحمَّل من المغارم نصيبه مثل رعيته، عن أنس بن مالك ﷺ قال: تقرقر بطن عمر بن الخطاب ﷺ، وكان يأكل الزيت عام الرمادة، وكان حرم عليه السمن، فنقر بطنه بإصبعه، قال: «إنه ليس لك عندنا غيره حتى يحيا الناس»[(١)].

"وأخذ عمر رضى الله على نفسه بأن يحيى، كما يحيى رعاياه في ذلك العام المجدب، وكان يقول: (كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يصبني ما أصابهم) وعندما تتأمل هذه المقولة تجد أنها تُشكل مفتاح الحكم الصالح في كل عصر ومصر"[(٢)].

فعندما لا يشعر الحاكم بإحساس شعبه، وتكون له حياته الخاصة المرفهة، فحينئذ ينفتح باب الفساد، ويتحقق قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء/١٦]

وقد سجل حافظ إبراهيم (شاعر النيل) هذه المواقف الخالدة في عمريته فقال:

إن جاع في شدة قومٌ شركتهم ... في الجوع أو تنجلي عنهم غواشيها

جوع الخليفة والدنيا بقبضته ... في الزهد منزلة سبحان موليها

فمن يباري أبا حفص وسيرته ... أو من يحاول للفاروق تشبيها

يوم اشتهت زوجه الحلوى فقال لها ... من أين لي ثمن الحلوى فأشريها

لا تمتطي شهوات النفس جامحة ... فكسرة الخبز عن حلواك تجزيها

وهل يفي بيت مال المسلمين بما ... توحي إليك إذا طاوعت موحيها

قالت لك الله إني لست أرزؤه ... مالا لحاجة نفس كنت أبغيها

(١) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، (بيروت: ط دار الكتاب العربي،١٤١٣هـ ١٩٩٣م)، ج:٢، ص:٢٣٧.

(٢) دور القيادة في إدارة الأزمات، ص: ١٥٧.مرجع سابق.

لكن أجنب شيئًا من وظيفتنا في كل يوم على حال أسويها
حتى إذا ما ملكنا ما يكافئها شريتها ثم إني لا أثنيها
قال اذهبي واعلمي إن كنت جاهلة أن القناعة تغني نفس كاسيها
وأقبلت بعد خمس وهي حاملة دريهمات لتقضي من تشهيها
فقال نبهت مني غافلا فدعي هذي الدراهم إذ لا حق لي فيها
ويلي على عمر يرضى بموفية على الكفاف وينهى مستزيدها
ما زاد عن قوتنا فالمسلمين به أولى فقومي لبيت المال رديها
كذاك أخلاقه كانت وما عهدت بعد النبوة أخلاق تحاكيها[3]

ولهذه المواقف وغيرها الكثير لقب عمر رضي الله عنه بالخليفة العادل. أمَّا أن يَسْمَنَ الرعاةُ، وتَنْحَفَ الرعية، ويشبع الولاة، وتجوع الشعوب؛ فتلك مهلكة تزيد الأزمات، وتمدُّ من عمرها.

ثانيًا: خلق الأمانة

للأمانة صور عدة، كما أن للخيانة أشكالاً كثيرة... وقد حفلت كتب التاريخ بأناس خانوا الأمانة أثناء الأزمات فتعاونوا مع العدو الخارجي أو الداخلي؛ فكانوا سببًا في هدم الأسر وسقوط الممالك والدول وموت كثير من البشر وهلاك الزرع والضرع، والحديث عن هذه النماذج يطول وإنما أودَّ الحديث عن أمانة الدين متمثلة في فتيا علماء الدين أثناء الأزمات وذلك لما يلي:

١- أهمية حكم الدين في إدارة الأزمات؛ لاعتماد كل أطراف الأزمة عليه، فالطغاة يريدون مشروعية لطغيانهم من خلال تأييد أهل الدين لموقفهم، والمظلومون يودون أن يروا الدين ينتصر لقضيتهم فيزدادوا تمسُّكًا به وحرصًا عليه.

٢- استخدام رأي علماء الدين في الترويج الإعلامي للقضية وإكسابها شكلاً من أشكال المشروعية؛ مما يعطي رأي الدين قوةً وتأثيرًا لم يكن في العصور الماضية بفضل تكنولوجيا الاتصالات الحديثة.

٣- تهوين قداسة الدين في النفوس، وسقوط القدوة، وتشويه صورة المتدينين وعلماء الدين في الأذهان. عندما يُستخدم الدين وتُستخدم نصوصه استخدامًا خاطئًا موجهًا، بما يعود بالآثار السلبية على المجتمع، والرغبة في التفلُّت من الدين نظرًا لسلوك رموزه.

ومن ثم سيكون التركيز -هنا-على أمانة الكلمة والفتيا، فمنذ فجر التاريخ في الصراع بين الحق والباطل، وعلى مستوى الأفراد والأسر والمجتمعات، يوجد مَنْ لا ينصاع للحق الظاهر، ويلوِى أعناق النصوص لنصرة الباطل البيِّن، بل ويجعل منها سندًا له وحجة تؤيده، حيث يُسخِّر النصوص في غير مراد الله ورسوله "فتجيء المحاولات والإسقاطات على الواقع، والاجتهادات والفتاوى بائسة ومنحازة، فتصبح تبعًا لهوى السلطان، سلطان السياسة، أو سلطان المال أو الجاه، أو تكريسًا للهوى، أو الطائفة أو المذهب، أو سندًا ودعمًا لممارسات يائسة أو طائشة أو عابثة بقيم الدين من بعض أصحاب العقول المعوجة، وبذلك تتحول القيم في الكتاب والسنة من حل للإشكالات والأزمات إلى صناعة إشكالات وأزمات مركبة، ونعيش كما يقول الله تعالى: ﴿ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ [النور/ ٤٠]

في إعلامنا الإسلامي اليوم يوجد العبث بالأحكام، والمجازفات وسوء التقدير، واحتراف الزعامات الجاهلة، التي تُنصِّب نفسها للحل والعقد، مما يزيد الأمور تعقيدًا، ويُولِّد من الأزمة أزمات، ويتقدم الجهل، ويحاصَرُ العلم، وتتسع دائرة الكذب والتدليس، ولا يردعنا قول الله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس/ ٣٩] وقوله: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[الإسراء/ ٣٦] إننا اليوم نفتقد المعرفة، ونفتقد أخلاقها، فأنَّى لنا النهوض والنجاح»[(١)].

إن مما لا ريب فيه أن من التحايل على النصوص، استعمالها في غير ما وُضعت له، فقد يتأزم المجتمع نتيجة حاكم ظالم يعيث في الأرض فسادًا ولا يقيم حدود الله، بل يصير حربًا على دين الله فيأتي مَنْ يُلْزِمُ الناسَ بطاعته، والاستكانة للظلم القادم منه استنادًا لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [المائدة/ ٥٩] وما علم هذا الجريء على كتاب الله أن طاعة الإمام هنا مقيدة بطاعة الله ورسوله، وأنها ليست منفصلة ولا مستقلة عن طاعتهما، فجعل الله طاعته مستقلة، وطاعة رسوله مستقلة، وطاعة أولى الأمر تابعة، ولهذا لم يذكر الفعل أطيعوا مع

(١) دور القيادة في إدارة الأزمة، ص: ١٠، ١٤ بتصرف، مرجع سابق.

الأمر بطاعة أولي الأمر.

إن أمانة العلم تقتضي وقت الأزمات خاصة أن يصون العلماء العلم عن أن يكون خادمًا لهوىً أو سلطان، وأن يقتدوا بالعلماء الأثبات الثقات الذين صمدوا وقت الفتن والمحن أمثال: الإمام أحمد بن حنبل، في محنة خلق القرآن الكريم.

وهذه الأخلاقيات وَقَتِ الأمَّةُ من أزماتٍ طاحنةٍ، وحفظت لها أمنها الفكري والسلوكي. واحتياج الأمة الإسلامية لهذه الأخلاقيات في هذا الزمان من متطلبات تقدمها وعودة نهوضها الحضاري.

ثالثًا: خلق الوضوح

الوضوح والصراحة وتجنب النفاق في الأزمات، يساعد على إيجاد الحلول وسرعة الخروج من الأزمة، فكثير من المسؤولين يستعينون بالحاشية في الإدلاء بآرائهم والتنبؤ بعواقب الأحداث؛ لتقرير ما يكون وما لا يكون. وهنا ينبغي أن يكون الوضوح سيد هذه المواقف.

ومن الأدلة على ذلك تأزَّم الوضع في جيش المسلمين المنتصر، عندما قام النبي ﷺ بتقسيم الغنائم في غزوة حنين، وأعطى قريشًا وبعض العرب ولم يعط الأنصار، ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: لما أعطى رسول الله ﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وَجَدَ-غضب- هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى كثرت فيهم القالة، حتى قال قائلهم: لقي رسول الله ﷺ قومه، فدخل عليه سعد بن عبادة، فقال: يا رسول الله، إن هذا الحي قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت، قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب، ولم يكن في هذا الحي من الأنصار شيء، قال: فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ قال: يا رسول الله، ما أنا إلا امرؤ من قومي)[1].

هكذا أجاب سيدنا سعد بوضوح كامل وشفافية مطلقة جعلت الرسول ﷺ يعالج الموضوع بسرعة قبل أن تتفاقم الأزمة أو يصعب حلها، وكثير من الناس في هذا العصر ينافقون المسئولين ولا يوضحون لهم الحقائق نفاقًا وتزلفًا فيضرون الجميع بنفاقهم وعدم وضوحهم.

فالوضوح هنا وضوح في المواقف وبيان للحقائق بلا مجاملات تطمس الحقيقة أو نفاق يُعمِّق من الأزمة، وتعاني

(١) مسند أحمد،، مسند أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، ج: ١٠، ص: ٢٥٣، رقم ١١٧٣٠.

الأمة المسلمة الآن من كثير من هذا النوع من التزلُّف لمن بيده الحكم والسلطان حتى ولو كان ذلك على حساب الحق وصالح الأمة، وأمثال هؤلاء المتزلفين لا يصلح بهم دين ولا تتقدم بهم أمة، إنما هم كُثر عند المغانم، وقلة عند المغارم، وأسرع الناس تخلِّيًا عن الأمة وقت أزمتها. ولا يعني الوضوح هنا إذاعة كل خبر أو قرار وإعلانه، فهذا ليس من الحكمة، وإنما وضوح المواقف من الأزمات، وعدم التدليس المفضي إلى الإرباك، سواء أكانوا أفرادًا، أم جماعات، أم دولا.

رابعًا: خلق الأمل والتفاؤل

التفاؤل: هو استشعار قدوم الخير بتحقُّق الأفراح والمسرات، واستبعاد قدوم الأذى والمكرهات، وهذا الاستشعار يولِّد في النفس والذات انفعالاً قويًّا ينشط معه التفكير، وتقوى به الإرادة، وتشتد به العزيمة، فينتج عن ذلك تصميم وعمل في اتجاه الخير المتفائل به. إنه بمثابة الوقود الذي يحرك الإرادة"[(١)].

وهو من حسن الظن بالله وصدق التوكل عليه. والأمل نافذة صغيرة ولكنها مهما صغرت فهي تفتح للمرء آفاقًا رحبةً في الحياة. ويستطيع المرء أن يحوِّل الأزمة إلى بوابة للنصر والتقدم إذا انتهج الأمل والتفاؤل سبيلاً لاستشراف المستقبل وعونًا على تخطي تلك الأزمات مهما كان خطرها ومهما عظم قدرها" فالأزمة دائمًا تحمل في داخلها سُبُل الخروج ﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح/٦] فاليسر من لوازم العسر ﴿ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء/١٩] فهذا الجَعْل من الله، الملازم للمكاره والشدائد والأزمات هو الذي يُشَكِّل أمل الخروج وعدَّة الصمود وآلية الإقدام على النظر والتفكير واكتشاف الخلل، على الهداية إلى الحل الذي يُشَكِّلُ المخرج. ولعلنا نقول هنا: إن هذا الإيمان بأن مع العسر يسرًا الذي يغذيه الدعاء بحيث يصل بالإنسان إلى الأمل والرجاء وتحقيق الصمود والقدرة على المواجهة المستندة إلى بارئ الكون، صاحب القدرة المطلقة للهداية إلى الحل هو الذي يؤهل للنظر الهادئ ويَحُوْل دون السقوط والانكسار، ويؤدي إلى التجاوز بل الارتقاء والمناعة المستقبلية"[(٢)].

وفي غزوة الأحزاب تطبيق عملي لهذا الخلق. فقد أصاب المسلمين هَمٌّ شديد قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا. هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب ١٠-١١] وكان موقف المنافقين اليائس من العوامل المساعدة على اشتداد الأزمة ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب /١٢] "فيلاحظ من خلال

(١) ناصر العمر، التفاؤل، (almoslim.net)، استعرض بتاريخ: ١-٧-٢٠١٧م.

(٢) إدارة الأزمة مقاربة التراث والآخر، ص:١٣، مرجع سابق.

موقف الناس في غزوة الأحزاب كما ذكرت الآيات، أن مرض القلوب كان أخطر اختراقٍ في مواجهة الأزمة. والقلوب لا تطمئن ولا تقر إلا بذكر الله. وأن المفاهيم الإيمانية ليست مفاهيم ميتافيزيقية، ولا صلة لها بالواقع المعيش، وإنما هي القاعدة الفكرية والقيمية، التي تُبنى على أساسها المؤسسات الناجحة."[1] لذلك كان من سبل المواجهة الأخلاقية إشاعة روح الأمل لقتل اليأس الذي تسرَّب لقلوب المنافقين، وهذا ما صنعه رسول الله ﷺ: عن البراء بن عازب الأنصاري، قال: لَمَّا كَانَ حَيْثُ أَمَرَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ عَرَضَتْ لَنَا فِي بَعْضِ الْخَنْدَقِ صَخْرَةٌ عَظِيمَةٌ شَدِيدَةٌ لا تَأْخُذُ الْمَعَاوِلُ، فَاشْتَكَيْنَا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا رَآهَا أَلْقَى ثَوْبَهُ، وَأَخَذَ الْمِعْوَلَ، فَقَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ». ثُمَّ ضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَهَا، وَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ، أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللَّهِ إِنِّي لأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ السَّاعَةَ». ثُمَّ ضَرَبَ الثَّانِيَةَ فَقَلَعَ ثُلُثَهَا الآخَرَ، وَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللَّهِ إِنِّي لأُبْصِرُ قُصُورَ الْمَدَائِنِ الأَبْيَضِ». ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: «بِسْمِ اللَّهِ». فَقَلَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ، وَقَالَ: «اللَّهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللَّهِ إِنِّي لأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا السَّاعَةَ»[2].

لقد كان النبي ﷺ عظيمَ البِشْرِ شديدَ التَّفاؤلِ في أشد ساعات الأزمة قوة عندما عظم البلاء، واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم، حتى ظن المؤمنون كل ظن، ونجم النفاق من بعض المنافقين، وعلى الأمة أن تتمسك بهدي نبيها في مواجهة الأزمات بمثل هذا اليقين والأمل. وليس باليأس وإشاعة روح الإحباط والانهزامية.

خامسًا: خلق الوفاء بالعهد

إن شدة الأزمات تضغط على الأفراد والمجتمعات، فإذا لم يكن هناك عاصم من القيم والأخلاق سرعان ما يتحلَّل المرء من عهوده ومواثيقه وينكث ما أبرمه مع الغير من اتفاقيات وعهود لاغتنام مصلحة عاجلة أو للتخلص من وضع تَبِعَاتِ عهودٍ ماضيةٍ. وما جُعلت العهود إلا لتحمي الحقوق وتصون الواجبات.

ولأهمية الوفاء بالعهد جاء الأمر الإلهي به ملزِمًا للمسلمين قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ [المائدة/ ١]

ويكون إيمان المرء على المَحَكِّ عندما تلوح له في الأفق بارقة مصلحة شخصية وفرصة للتحايل للخروج من أزمة

(١) إدارة الأزمة مقاربة التراث والآخر، ص: ٣٠، ٣٣. مرجع سابق.

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، (بيروت: دار المعرفة ١٣٧٩هـ)، ج:٧، ص:٤٨٥.

حلَّت به ويكون ثمنها إخلال العهد ونقضه؛ لذلك جاء التحذير النبوي، يقول رسول الله ﷺ: "... ولا دين لمن لا عهد له"[١]. فإما أن يفي المرء بعهده، أو أن يتحلَّل منه.

إن القيم الإسلامية تصون الأفراد والمجتمعات من مغبة هذا النقض وآثاره المدمرة، ومن أحداث التاريخ ما حدث بين المسلمين وأهل الشام عندما عاهدهم المسلمون على حمايتهم نظير الجزية، فلما لم يقدروا على حمايتهم ردوا إليهم الجزية وخرجوا من عهدهم، فقد رُوي عن مكحول أن الأخبار تتابعت على أبي عبيدة بجموع الروم، فاشتد ذلك عليه وعلى المسلمين، فكتب أبو عبيدة لكل والٍ ممن خلَّفه في المدن التي صالح أهلها يأمرهم أن يردوا عليهم ما جُبي منهم من الجزية والخراج، كتب إليهم أن يقولوا لهم: إنما رددنا عليكم أموالكم، لأنه قد بلغنا ما جمع لنا من الجموع، وإنكم قد اشترطتم علينا أن نمنعكم، وإنا لا نقدر على ذلك، وقد رددنا عليكم ما أخذنا منكم، ونحن لكم على الشرط وما كان بيننا وبينكم إن نصرنا الله عليهم؛ فلما قالوا ذلك لهم وردوا عليهم الأموال التي جبوها منهم، قالوا: ردكم الله علينا ونصركم عليهم"[٢].

إن الوفاء بالعهد وقت الأزمات وقاية للأنفس والأعراض والأموال والإخلال بالعهود تعريض لتلفها وإزهاقها، ومن ثم كانت خيانة بني قريظة للعهد مع الرسول ﷺ من موجبات قتل مقاتليهم وسبي نسائهم وذراريهم وتقسم أموالهم، فالجزاء من جنس العمل.

سادسًا: خلق الشجاعة

تحتاج المواجهة الأخلاقية للأزمات إلى الشجاعة وقوة العزيمة، فكثير من الأزمات المصطَّنعة يعتمد صانعوها على ضعف الخصم وقلة حيلته تجاه الأزمة، فإذا ما أثبت المرء قوة في المواجهة، وشجاعة في التعامل مع الأزمة، فإن هذا يُربك حسابات مَنْ أثار الأزمة، وقد ترتدُّ على مُصَدِّرها.

ولا تحوز الأمة مكانة يهابها خصومها، وتقرُّ بها عين حلفائها، إلَّا أن تكون عزيزة الجانب، صلبة القناة. وعزة الجانب وصلابة القناة لا ينزلان إلا حيث تكون قوة الجأش، والاستهانة بملاقاة المكاره، وذلك ما نسميه: شجاعة.

وربى الإسلام أتباعه على الشجاعتين الأدبية والحربية، فالشجاعة الأدبية مهمة ليكون الناس على بصيرة من الحقِّ

(١) مسند أحمد، مسند أنس بن مالك، ج١٩، ص:٣٧٦، رقم ١٢٣٨٣.

(٢) أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعيد بن حبته الأنصاري، الخراج، تحقيق: طه عبد الرؤوف، (مصر: المكتبة الأزهرية، د.ت) ص:١٥.

والباطل، والصواب والخطأ؛ فيقيمون الحقَّ، ويرجعون إلى الصواب. والشجاعة الحربية مهمة كذلك؛ لإخراج أمة لا تهاب الخطوب، وترى الموت في سبيل إعلاء كلمة الحق، أو الاحتفاظ بالكرامة، خيرًا من ألف حياة يقضيها صاحبها في هون، أو في مشاهدة الباطل يمشي في الأرض مرحًا. ومن الآيات الواردة في تربية الشجاعة الحربية قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٠٤].(١)

وذلك مثلما حدث في غزوة ثقيف عندما ثبت النبي ﷺ وأمر أبا سفيان بن الحارث أن ينادي بقوله: أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب، قال: فما رئي من الناس يومئذ أشد منه ﷺ"(٢).

إن الخور والجبن عن مواجهة الأزمات يضاعف من آثارها ويُمكِّن العدو من مضاعفتها، وفي الأزمات القدرية تكون الشجاعة دليلاً على الرضا بالقدر والصبر على المصيبة، وعلى رباطة الجأش. والأمثلة على ذلك كثيرة...

سابعًا: خلق الرحمة والعطف

الرحمة والتعاطف سمة للمجتمع المسلم وعلى أساسها يكون التعامل بين أبنائه، يقول الرسول ﷺ: «مَثَلُ المؤمنين في تَوَادِّهم وتراحُمِهم وتعاطُفِهم: مثلُ الجسد، إذا اشتكى منه عضو: تَدَاعَى له سائرُ الجسد بالسَّهَرِ والحُمَّى»(٣).

والحديث عن هذه السمة يطول إلا أنني أخص من معانيها ما ينبغي استحضاره في الأزمات، ومنها: سرعة الاستجابة لإغاثة مصابهم، والتألُّم لحالهم عند نكباتهم، وعدم الشماتة بهم عند نوازلهم، وستر أخطائهم عند زلاتهم، وعدم استغلال زلاتهم في ابتزازهم، فالأصل هو التراحم وليس التشاحن، والتعاطف وليس التعادي والشماتة.

تعد الأزمة نوعًا من الضعف يقع فيه عامة الخلق، كبيرهم وصغيرهم، غنيُّهم وفقيرهم، حاكمهم ومحكومهم... فليس هناك إنسان إلا ويقع في أزمة، كمرضٍ له أو لحبيب، وكموتٍ لقريب، وكدَيْنٍ وقع فيه المرء، وهكذا... ولما كانت هذه الأزمة صورة من صور الضعف، وكثيرًا ما تأتي مفاجئة للإنسان، فإن للمسلمين في رحمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة ومثلا أعلى حيث كان سريعًا ما يتحرك تجاه هؤلاء(٤)... يلخص ذلك عثمان بن عفان

(١) موسوعة الأعمال الكاملة للإمام محمد الخضر حسين، (سوريا: دار النوادر، ١٤٣١هـ)، ط١، ج: ٥، ص: ٣٣. www.dorar.net

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، ج: ٣، ص: ١٤٠٠، رقم ١٧٧٦. ط: ٢، ج: ١٥، ص: ١٧٨.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ج: ٨، ص: ١٠ رقم ٦٠١١.

(٤) راغب السرجاني، رحمة النبي بأصحاب الأزمات، http://iswy.co

رضي الله عنه بقوله: «إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر، وكان يعود مرضانا ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا، ويواسينا بالقليل والكثير»[1].

إن التقيُّد بهذه المعاني خاصة بعد حصول الأزمات يساعد على تخفيف حدتها، وسرعة انقضائها، والعدول عنها باب عظيم من الشر يفتحه المسلمون على أنفسهم، ومن ذلك مثلاً: التأثُّر النفسي الشديد لصاحب الأزمة وإحساسه بعدم وجود العون والسند من أفراد المجتمع، وفي بعض الأحيان يكون عدم ستر المسلم والسعي لفضحه لابتزازه بلا رحمة كما يحدث في وسائل الإعلام على مستوى الأفراد والمؤسسات والدول، فهذا "يدمر الأخلاق لدى الطرفين: المهدِّد والمهدَّد، مما يُؤدي إلى تدمير القيم، وتشكيل بيئة مناسبة للتآمر وشيوع الأهواء ومحاولة الانتقام، ولذلك وجهنا الإسلام إلى الحرص على الستر"[2]. وفي الحديث عن معاوية رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم، أو كِدتَّ أن تفسدهم، فقال أبو الدرداء: كلمة سمعها معاوية من رسول الله ﷺ نفعه الله بها»[3].

المبحث الثالث: الأخلاق بعد الأزمة

يتسم المسلم بالثبات على أخلاقه في عسره ويسره وغناه وفقره، وشدته وفرجه، فلا يبطره الغنى، ولا ينسيه الفقر علاقته بربه. ويستحدث لكل حال خُلقًا يوافقه، فإذا كان عماد الأخلاق أثناء الأزمة الصبر، فإن عماد الأخلاق بعد ذهابها الشكر والعفو.

وتتنوع الأخلاق المطلوبة بعد كل أزمة بحسبها، وهذه جملة من الأخلاق يحسُن التمسك بها بعد زوال الغمة وانكشافها، ومن هذه الأخلاق:

١- الشكر.

٢-العفو والصفح.

٣- التواضع.

أولا: خلق الشكر

من أخلاق المسلم أن يشكر ربه عند ذهاب المُلِمَّات، وأن يُعَبِّرَ عن هذا بكثرة الطاعة لله والسجود له، فيُسَنُّ

(١) مسند أحمد، مسند عثمان بن عفان، ج:١، ص:٦٩، رقم ٥٠٤.

(٢) إدارة الأزمة مقاربة التراث والآخر، ص:٦٢ بتصرف. مرجع سابق.

(٣) سنن أبي داود، باب في النهي عن الجسس، ج: ٤، ص:٢٧٢، رقم ٤٨٨٨.

للمسلم أن يسجد سجدة الشكر عند ذهاب المكروه، ومجيء الفرج بعد الشدة.

وقد تجلى خُلُق الشكر بعد الأزمات، والتعبير عن ذلك يكون بصور عدة منها السجود ومنها الجود والكرم والإحسان، ويبدو شكر الله بالسجود في قصة سيدنا داود عليه السلام لما نجاه الله من ابتلاء في طريقة الحكم بين المتخاصمين، عندما قضى قبل أن يستمع إلى كلا الخصمين، قال الله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص/٢٤] «إن خطيئته إنما كانت التقصير في الحكم، والمبادرة إلى تظليم مَنْ لم يثبت عنده ظلمه. جاء عن ابن عباس أنه قال: سجدها داود شكرًا، وسجدها النبي ﷺ اتباعًا، فثبت أن السجود للشكر سنة متواترة عن الأنبياء صلوات الله عليهم»[١].

والسجود هنا اعتراف بإرادة الله وقدرته وحلمه ولطفه؛ لأنه يسَّر انفراج الأزمة وذهابها، وهذا سلوك المؤمنين بالله، أما أهل البطر والشرك فإنهم ينكثون على أعقابهم ويعودون لشركهم بعد انقضاء أزماتهم رغم أنهم كانوا يتضرعون للخالق أن يُفَرِّج عنهم، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ [الإسراء/٦٧] «فالإنسان هنا هو: الكافر، وقيل: طُبع الإنسان كفورًا للنعم إلا من عصمه الله»[٢].

وقد يستغرب بعض القراء من كون الجود والكرم خُلقًا لما بعد الأزمة، لكن هذا الاستغراب يزول عندما يتضح أن الإسلام يوجّه المشاعر والأحاسيس توجيهًا إيجابيًّا فعَّالاً يدعِّم قيم الخير ولا يترك الإنسان ينحرف استجابة لشعور طارئ أو موقف مؤقت؛ ولذلك عندما يعتري الإنسان المسلم شعور بالسعادة لتجاوز أزمة ما في حياته، فإنه يعبر عن هذا الشعور بالعطاء والسخاء تقربًا لله تعالى وشكرًا له على منَّتِه عليه بكشف الغمة وذهاب الكرب.

ومن النماذج العظيمة في ذلك سيدنا كعب بن مالك لما تاب الله عليه، عن كعب بن مالك قال: «قلت: يا رسول الله إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله، قال رسول الله ﷺ: أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك، قال: فقلت: إني أمسك سهمي الذي بخيبر»[٣].

كما أن من الأخلاق الإسلامية وقت الأزمات وخاصة الاقتصادية أن يجود الناس بما عندهم، يقول النبي ﷺ «من كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له»[٤]، وإذا كان الجود خلقًا محمودًا، فهو في ساعات الأزمة أكثر حمدًا

(١) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي، الجامع لأحكام القرآن، (القاهرة: دار الكتب المصرية١٣٨٤هـ-١٩٦٤م)، ط:٢، ج:١٥، ص: ١٧٨.

(٢) نفسه، ج: ١٠ ص:٢٩١.

(٣) سنن أبي داود، باب فيمن نذر أن يتصدق به، ج:٣، ص: ٠٤٢، رقم ٧١٣٣

(٤) صحيح مسلم، كتاب اللقطة، باب: استحباب المواساة بفضول المال، ج: ٢، ص: ١٣٥٤. رقم ١٧٢٨.

وأحسن أجرًا وأشد طلبًا، يقول الله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ. يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ. أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد ١٤-١٦] والمسغبة وقت المجاعة والقحط «ومعلوم أن إخراج المال في وقت القحط والضرورة أثقل على النفس وأوجب للأجر» (١).

ولا بُدَّ للناس من أن يعاون بعضهم بعضًا، وأن يجود بعضهم على بعض وخاصة وقت الأزمات. يقول الخليفة عمر رضي الله عنه في أزمة عام الرمادة: "لو لم أجد للناس ما يسعهم إلا أن أدخل على كل أهل بيت عدتهم فيقاسمونه أنصاف بطونهم حتى يأتي الله بخير لفعلت؛ فإنهم لن يهلكوا على أنصاف بوطنهم" (٢).

والإحسان سمة الصالحين في أحلك الظروف وأشد الأزمات، فهذا نبي الله يوسف عليه السلام يقول له مرافقوه في السجن: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف/٣٦] كما يصفه إخوانه بالوصف نفسه لما أصبح عزيز مصر: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف/٧٨] وهذه دلالة على أن أصحاب القيم الرفيعة لا يبطرهم غنى، ولا تهدم الأزمات صرح الأخلاق في نفوسهم الأبية.

ثانيًا: خلق العفو والصفح

العفو والصفح متقاربان في المعنى: قال الراغب: «الصفح: ترك التثريب، وهو أبلغ من العفو وقد يعفو الإنسان ولا يصفح. وقال البيضاوي: العفو ترك عقوبة المذنب، والصفح: ترك لومه. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا﴾ [البقرة: ١٠٩] ترقيًّا في الأمر بمكارم الأخلاق من الحسن إلى الأحسن، ومن الفضل إلى الأفضل» (٣).

وقال القرطبي: «العفو: ترك المؤاخذة بالذنب. والصفح: إزالة أثره من النفس. صفحت عن فلان إذا أعرضت عن ذنبه» (٤).

وقد ذكر القرآن الكريم مثالاً للعفو في شخصية سيدنا أبي بكر الصديق عندما عفا عن مسطح بن أثاثة في حادثة الإفك بعدما ظهرت براءة السيدة عائشة رضي الله عنها استجابة لأمر الله تعالى في قوله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور/٢٢]، فعند ذلك قال الصديق: بلى، والله إنا نحب يا ربنا أن تغفر لنا. ثم رجع إلى مسطح ما كان

(١) أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، مفاتيح الغيب= التفسير الكبير، (بيروت: دار إحياء التراث العربي ١٤٢٠هـ)، ط:٤، ج:٣، ص: ٤٤٨.

(٢) عمر بن شيبة البصري، تاريخ المدينة، (جدة: ١٣٩٩هـ)، ج:٢، ص:٧٤٢.

(٣) أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري معجم الفروق اللغوية، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي ط١)، ص: ٣٦٢.

(٤) تفسير القرطبي، ج: ٢، ص: ٧١.مرجع سابق.

يصله من النفقة، وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا»[1].

وقد عفا النبي ﷺ عن أهل مكة شكرًا لله تعالى بعد أن مكَّنه الله من رقابهم بعد أزمة استمرت واحدًا وعشرين عامًا منذ بداية البعثة يوم أن دعاهم فلم يستجيبوا وظلوا معه في سجال إلى أن مكَّنه الله من رقابهم وانتصر عليهم.

عن صفية بنت شيبة قالت لما نزل رسول الله ﷺ واطمأن الناس خرج حتى جاء البيت فطاف به... وفيه ثم قال: يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم، قالوا: خيرًا أخ كريم وابن أخ كريم قال: اذهبوا فانتم الطلقاء»[2].

وقال الفضيل بن عياض: «إذا أتاك رجلٌ يشكو إليك رجلاً، فقل: يا أخي، اعفُ عنه؛ فإنَّ العفو أقرب للتقوى، فإن قال: لا يحتمِل قلبي العفوَ، ولكن أنتصر كما أمرَني الله تعالى فقل له: إن كنتَ تُحسِن أن تنتَصِر، وإلا فارجع إلى باب العفو؛ فإنه باب واسع، فإنَّه مَن عفَا وأصلحَ فأجره على الله، وصاحِبُ العفو ينام على فراشه بالليل، وصاحب الانتصار يقلِّب الأمور؛ لأن الفُتُوَّة هي العفوُ عن الإخوان»[3].

إن الإحسان إلى المحسن مكافأة، وإلى من لا يسيء ولا يحسن فضل، وإلى الجاني فتوة وكرم وفي معناه أنشدوا:

وما رضوا بالعفو عن كلّ زلة حتى أنالــوا كفّــه وأفـادوا[4]

فالعفو تهدأ به النفوس، ويستقر المجتمع، والبعد عنه لا يزيد المجتمع إلا رغبة في الخصام، ومزيدًا من السعي نحو الانتقام والتشفِّي. ولذلك كان العفو والصفح من أخلاقيات الأزمة التي لا غنى عنها.

ثالثًا: خلق التواضع

خلق التواضع مطلوب بعد كل أزمة وذلك لأمرين:

الأول: لتجنب الغرور عندما تمرُّ الأزمة بسلام، وينتصر المرء في الإفلات من أضرارها.

والثاني: لقبول النقد البنَّاء، والذي يبرز الأخطاء التي أدت لظهور هذه الأزمة، ويقيها من إلقاء التبعة على الغير فقط دون الالتفات إلى الذات وتقويمها.

فهناك أناس «يجهدون أنفسهم في إلقاء تَبِعَة فشلهم فيما يضطلعون به من أعمال على الآخرين (!) ولو أنهم بذلوا هذا

(١) أبو الفداء إسماعيل بن عمير بن كثير القرشي، تفسير القرآن العظيم، (مصر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠-١٩٩٩م)، ط: ٢، ج: ٦ ص: ٣١.
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج:٨، ص:١٨، مرجع سابق.
(٣) حلية الأولياء ، ج:٨، ص:١١٢،.مرجع سابق.
(٤) عبد الكريم بن هوزان بن عبد الملك القشيري، لطائف الإشارات، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت) ط٣، ج٢، ص:١٠٦.

الجهد في دراسة أدائهم ومعرفة نقائصهم وتقصيرهم لاستطاعوا الارتقاء ولو بشكل بسيط أو على الأقل لاستووا على الجادة الصحيحة، لكنه الاستكبار والتمترس وراء ألقاب وعناوين، دون مؤهل حقيقي؛ تلك الألقاب الخادعة، التي تتحول مهمتها إلى توبيخ حملتها وصبغ حياتهم بنوع من البهتان وارتكاب المحظور والمساهمة في خلق الأزمة والمشكلة بدلاً من حلِّها؛ لأنهم أصبحوا هم المشكلة»[1].

فالمكابرة والاعتزاز بالنفس وعدم الاستماع للآخر، قد يؤدي إلى حدوث الأزمات، وإذا حدثت، فإن هذا العُجب بالنفس وعدم الإنصات إلى الآخرين يطيل من أمدها ويحجب النفع عند ذهابها. ومن ثم لزم التخلق بالتواضع جلبًا لنفع الذات ودفعًا للأذى عنها وعن سواها.

(١) إدارة الأزمة مقاربة التراث والآخر، ص:٠١، مرجع سابق.

الخاتمة:

تبين من خلال ما سبق وجود تنوع في التعامل مع الأزمات، وأن منها ما يعتمد على النظرة المادية فقط للأزمات ويتغافل عن الجوانب الأخرى ومنها الجانب الخلقي.

وتبين من البحث أن المسلم لا يستغني عن الأخلاق في مواجهته للأزمات؛ لبيان ما يتمتع به من قيم وأخلاق؛ وليكون صورة للدين الذي ينتسب إليه. كما اتضح أن الإسلام يوجب على المسلم الالتزام بالأخلاق في كل ظروف حياته ومنها ساعات الشدة والأزمة، وأن تخلِّي المجتمع المسلم عن التقيد بهذه الأخلاقيات في التعامل مع الأزمات يجعل التعامل منقوصًا وخاطئًا وربما يؤدي لتفاقم الأزمات أو بروز أزمات جديدة. كما اتضح أن:

١- عند بداية الأزمات على المستوى الفردي أو المجتمعي لا بد من تحري الصدق وعدم إشاعة الكذب.

٢- يُعدُّ الصبر من الأخلاق العظيمة التي تسهم في تخطي الأزمات.

٣- المسلم يرجع كل الأمور إلى ربه ويعلم أن منه الفرج والنصر؛ لذلك كان الشكر من الأخلاق التي يلتزم بها المسلم بعد انتهاء أزمته.

٤- يعبر المسلم عن شكره لله تعبيرًا إيجابيًّا متوافقا مع الشريعة وضوابطها من خلال العفو والجود والعطاء والإحسان إلى الغير. ولا يسعى للتعبير عن فرحه بما يخالف الشرع الحكيم. "قصة الإفك نموذجا"

٥- قبول المسلم للنقد البنَّاء بعد انتهاء الأزمات دليل على الرغبة في التصحيح والسعي نحو تفادي الأزمات المستقبلية، ويسهم خلق التواضع في تهيئة النفس لقبول هذا النقد.

التوصيات:

يوصي البحث بما يلي:

١. استحداث موضوعات في مراحل التعليم المختلفة تبين دور الأخلاق في مواجهة الأزمات.

٢. عقد دورات تدريبية للمراحل العمرية المتنوعة تبين أنواع الأزمات والأخلاق التي تسهم في حلها وتقليل أضرارها.

٣. وضع ميثاق أخلاقي للإعلام يقي المجتمع من ضرر انتشار الأكاذيب والإشاعات وخاصة وقت الأزمات.

٤. تشريع عقوبات رادعة لمن يتعمد إشاعة الكذب وقت الأزمات خاصة التي لها علاقة باستقرار الدولة والمجتمع.

٥. وضع برنامج توعوي من خلال المساجد ووسائل الإعلام المختلفة يتم الاستعانة به وقت الأزمات؛ مساهمة من هذه الجهات في توعية المجتمع بكيفية التعامل الرشيد مع الأزمات.

المصادر والمراجع

أولا-المصادر والمراجع العربية:

- ابن الجوزي، كشف المشكل من حديث الصحيحين، (الرياض: دار الوطن، ب. ت).
- البخاري، محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، (دار طوق النجاة)، ط١، ١٤٢٢هـ.
- ابن الحجاج، مسلم، صحيح مسلم (بيروت: دار إحياء التراث العربي).
- ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب تهذيب الأخلاق، (بيروت: الجمل) ٢٠١١م.
- ابن منظور، أحمد جمال الدين، لسان العرب، (بيروت: دار صادر د.ت).
- أبو قحف، عدنان الإدارة الاستراتيجية وإدارة الأزمات، (القاهرة: دار الجامعة الجديدة)، ٢٠٠٦م.
- أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب بن سعيد بن حبته الأنصاري، الخراج، تحقيق: طه عبد الرؤوف، (مصر: المكتبة الأزهرية، د.ت).
- الإبياري، إبراهيم، أحمد امين، أحمد الزين، ديوان حافظ إبراهيم (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ط:٣،١٩٨٧م) ص:٩٢.
- الأصبهاني، أبو نعيم بن عبد الله بن أحمد بن إسحق بن موسى بن مهران، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، (بيروت: ط دار الكتاب الكلمة)، ١٤٠٩هـ.
- الألباني، عبد الرحمن محمد ناصر الدين، صحيح الجامع الصغير وزياداته، (المكتب الإسلامي، د.ت).
- البصري، عمر بن شيبة، (جدة: تاريخ المدينة)١٣٩٩هـ.
- بكار، عبد الكريم، ومن يؤت الحكمة، http://www.saaid.net/Doat/bakkar/019.htm
- البيهقي، أبوبكر، شعب الإيمان، (الهند: مكتبة الرشد بومباي)، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
- الترمذي، محمد بن عيسى سنن الترمذي، تحقيق: محمد شاكر، (بيروت)، ط:١، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م
- الخضيري، على محسن، إدارة الأزمات منهج اقتصادي إداري لحل الأزمات على مستوى الاقتصاد القومي والوحدة الاقتصادية، (القاهرة: مكتبة مدبولي)، ١٩٩٣م.
- الذهبي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، م، (بيروت: ط دار الكتاب العربي)، ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

- الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، مفاتيح الغيب= التفسير الكبير، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ط:٣، ١٤٢٠هـ.
- الرامهرمزي، أبو الحسن بن عبد الرحمن، أمثال الحديث المروية عن النبي ﷺ، ط ١، (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية)، ١٤٠٩ هـ- ١٩٨٨م.
- الزغبي، محمد، إدارة الأزمات في السنة النبوية " حادثة الإفك نموذجا، (الأردن: المجلة الأردنية في الدراسات الشرعية) ١٤٣٥هـ-٢٠١٤م.
- الشيباني، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (مؤسسة الرسالة)، ط:١، ١٤٢١-٢٠٠١م.
- عبد الوهاب، أبو سليمان عبد الله بن محمد، جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية، (الرياض: دار العاصمة)، ط١، (١٣٤٩هـ).
- العثيمين، محمد بن صالح بن محمد شرح رياض الصالحين، (الرياض: دار الوطن للنشر) ١٤٢٦ هـ.
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (بيروت: دار المعرفة) ١٣٧٩هـ.
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد، معجم الفروق اللغوية، (قم: مؤسسة النشر الإسلامي)، ط:١، ١٤١٢هـ.
- العمر، ناصر التفاؤل –موقع: almoslim.net
- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد إحياء علوم الدين، (بيروت: دار المعرفة د.ت).
- قاسم، حمزة محمد، منار القاري شرح مختصر البخاري، (دمشق: مكتبة البيان)، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
- القرشي، أبو الفداء إسماعيل بن عمير بن كثير، تفسير القرآن العظيم، (مصر: دار طيبة للنشر والتوزيع.)، ١٤٢٠-١٩٩٩م.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي، الجامع لأحكام القرآن، (القاهرة: دار الكتب المصرية)، ط:٢، (١٣٨٤هـ-١٩٦٤م).
- القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، لطائف الإشارات، (مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب،

د.ت).

- قطب، سيد، في ظلال القرآن، (القاهرة: ط دار الشروق)، ط: ١٧، ١٤١٢هـ.
- الكيلاني، عبد الله إبراهيم، إدارة الأزمة مقاربة التراث والآخر كتاب الأمة رقم ١٣١ (قطر: يصدر عن مكتب الدراسات والبحوث بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية القطرية)، ١٤٣٠هـ.
- محمد، إيثار عبد الهادي، استراتيجية أدارة الأزمات: تأطير مفاهيمي على وفق المنظور الإسلامي، المجلد ١٧، العدد ٦٤، (بغداد: مجلة العموم الاقتصادية والإدارية / كلية الإدارة والاقتصاد / جامعة بغداد)، ٢٠١١م.
- المراغي، أحمد بن مصطفي تفسير المراغي، (القاهرة: البابي الحلبي.)، ط:١، ١٣٦٥هـ -١٩٤٦م.
- الملا، سلوى حامد، دور القيادة في إدارة الأزمة، (قطر: سلسلة كتاب الأمة تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون إسلامية بدولة قطر)، ع: ١٦٦. ربيع الأول ١٤٣٦هـ.
- المناوي، عبد الرؤوف، فيض القدير، (مصر: المكتبة التجارية الكبرى)، ١٩٥٦م.
- ناصر الدين، يعقوب عادل، مفهوم الحكمة شرعا ووضعا، (الأردن: جامعة الشرق الوسط)، ٢٠١٣. http:// www.yacoubnasereddin.com
- النووي، أبو زكريا محيي الدين يحي بن شرف المنهاج شرح صحيح مسلم، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، ط٢
- هيكل، محمد، مهارة إدارة الأزمات والكوارث والمواقف الصعبة،(مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب)، ٢٠٠٦.

ثانيا-المصادر والمراجع الإنجليزية:

References:

- Abd Al-Wahhab, Abu Sulayman Abdullah bin Muhammad, *Jawab Ahl Al-Sunnah Al-Nabwiyyah Fi Naqdi Kalam Al-Shia wa Al-Zaydiyyah*, (in Arabic), (Riyadh: Dar Al-Asimah, 1349 A.H), 1st ed..
- Abu Qahf, Adnan, *Al-Idara Al-Istratijiyyah wa Idarat Al-Azamat*, (in Arabic), (Cairo: Dar Al-Jamiah Al-Jadida, 2006).
- Abu Yusuf, Yaqub ibn Ibrahim Al-Ansari, *Al-Kharaj*, (in Arabic), ed. Taha Abdul-Rauf, (Egypt: Al-Maktabah Al-Azhariyyah).
- AL-Adid Samuri,M.(2012) Protection of children during Wartime under Islamic Law and international Law Perspective. Social Sciences (Pakistan),7(3), 383-390 doi: 10.3923/sciences. 2012.383.390.

- Al-Albani, Abdul-Rahman Muhammad Nasiruddin, *Sahih Al-Jami Al-Saghir wa Ziyadatuhu*, (in Arabic), (Al-Maktab Al-Islami).
- Al-Asbahani, Abu Nuaym bin Abdullah, *Hilyat Al-Awliya wa Tabaqat Al-Asfiya*, (in Arabic), (Beirut: Dar Al-Kitab Al-Kalima, 1409 A.H.)
- Al-Askari, Abu Hilal Al-Hasan bin Abduallah, *Mujam Al-Furuq Al-Lughawiyyah*, (in Arabic), (Qum: Muassasat Al-Nashr Al-Islami, 1412 A.H.), 1st ed..
- Al-Asqalani, Ahmad bin Ali bin Hajar, *Fath Al-Bari Sharh Sahih Al-Bukhari*, (in Arabic), (Beirut: Dar Al-Marifah, 1379 A.H.)
- Al-Bayhaqi, Abu Bakr, *Shuab Al-Iman*, (in Arabic), (Bombay: Maktabat Al-Rushd, 2003).
- *Al-Bukhari, Sahih Al-Bukhari*, (in Arabic), (Dar Tawaq Al-Najah, 1422 A.H.), 1st ed..
- Al-Ghazali, Muhammad bin Muhammad, *Ihya Ulum al-Din*, (in Arabic), (Beirut: Dar Al-Marifah).
- Al-Khudayri, Ali Muhsin, *Idarat Al-Azamat Manhaj Iqtsadi Idari Li Hal Al-Azmat ala Al-Mustawa Al-Iqtisad Al-Qawmi wa Al-Wihda Al-Iqtisadiyyah*, (in Arabic), (Cairo: Maktabat Madbuli, 1993).
- Al-Kilani, Abdullah Ibrahim, *Idarat Al-Azmah Muqarabat Al-Turath Wa Al-Akhar*, (in Arabic), (Qatar: Kitab Al-Ummah no. 131, Maktab Al-Dirasat - Wizarat Al-Awqaf bi Qatar, 1430 A.H.).
- Al-Maraghi, Ahmad bin Mustafa, *Tafsir Al-Maraghi*, (in Arabic), (Cairo: Al-Babi Al-Halabi, 1946), 1st ed..
- Al-Minawi, Abdul-Rauf, *Fayd Al-Qadir*, (in Arabic), (Egypt: Al-Maktabah Al-Tijariyyah Al-Kubra, 1959).
- Al-Mulla, Salwa Hamid, *Dawr Al-Qiyadah fi Idarat Al-Azmah*, (in Arabic), (Qatar: Kitab Al-Ummah no. 166, published by Maktab Al-Dirasat - Wizarat Al-Awqaf bi Qatar 1436 A.H.)
- Al-Nawawi, Abu Zakariyya Muhyuddin Yahya, *Al-Minhaj Sharh Sahih Muslim*, (in Arabic**),** (Beirut: Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi 2nd ed.)
- Al-Qurashi, Abu Al-Fida Ismail bin Umayr bin Kathir, *Tafsir Al-Quran Al-Azim*, (in Arabic), (Egypt: Dar Taybah li Al-Nashr wa Al-Tawzi, 1999).
- Al-Qurtubi, Abu Abdillah Muhammad bin Ahmad bin Abi Bakr Al-Ansari, *Al-Jami Li Ahkam Al-Quran*, (in Arabic), (Cairo: Dar Al-Kutub Al-Misriyyah, 1964), 2nd ed..
- Al-Qushayri, Abdul-Karim bin Hawazan bin Abdul-Malik, *Lataif Al-Isharat*, (in Arabic), (Egypt: Al-Hayah Al-Misriyyah Al-Amah li Al-Kitab).
- Al-Ramahurmuzi, Abu Al-Hasan bin Abdul-Rahman, *Amthal Al-Hadith Al-Marwiyyah an Al-Nabi*, (in Arabic), (Beirut: Muassasat Al-Kutub Al-Thaqafiyyah, 1988), 1st ed..
- Al-Razi, Abu Abdillah Muhammad bin Umar bin Al-Hasan bin Al-Husayn Al-Tamimi, *Mafatih Al-Ghayb (Al-Tafsir Al-Kabir)*, (in Arabic), (Beirut: Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi ,1420 A.H.), 3rd ed..
- Al-Shybani, Abu Abdillah Ahmad bin Muhammad bin Hanbal, *Musnad Al-Imam Ahmad bin Hanbal*, ed. Shuayb Al-Arnaut, (in Arabic), (Muassasat Al-Risalah, 2001), 1st ed..
- Al-Thahabi, Shams Al-Din Abu Abdillah Muhammad bin Ahmad bin Uthman, *Tarikh Al-Islam wa Wafiyat Al-Mashahir wa Al-Alam*, (in Arabic), (Beirut: Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1993).

- Al-Tirmithi, Muhammad bin Isa, *Sunan Al-Tirmithi*, (in Arabic), ed. Muhammad Shakir, (Beirut, 1975), 1st ed..
- Al-Umar, Nasir, *Al-Tafaul,* (In Arabic), Site: almoslim.net
- Al-Uthaymin, Muhammad bin Salih bin Muhammad, *Sharh Riyad Al-Salihin*, (in Arabic), (Riyadh: Dar Al-Watan li Al-Nashr, 1426 A.H.).
- Al-Zughbi, Muhammad, *Idarat Al-Azmat fi Al-Sunnah Al-Nabawiyyah*: *Hadithat Al-Ifk Namuthajan*, (in Arabic), (Jordan: Al-Majallah Al-Urduniyyah fi Al-Dirasat Al-Shariyyah, 2014).
- Bakkar, Abdul-Karim, *Wa Man Yuta Al-Hikmah,* (In Arabic), Site: http://www.saaid.net/Doat/bakkar/019.htm
- Haykal, Muhammad, *Maharat Idarat Al-Azmat wa Al-Kawartih wa Al-Mawaqif Al-Sabah*, (in Arabic), (Egypt: Al-Hayah Al-Misriyyah Al-Amah li Al-Kitab, 2006).
- Ibn al-Jawzi, *Kashf Al-Mushkil min Hadith Al-Sahihayn*, (in Arabic), (Al-Riyadh*: Dar al-Watan)*.
- Ibn Manthur, Ahmad Jamal Al-Din*, Lisan Al-Arab*, (in Arabic), (Beirut: Dar Sadir).
- Ibn Miskawayh, Abu Ali Ahmad ibn Muhammad, *Tahthib Al-Akhlaq,* (In Arabic), (Beirut: Al-Jamal, 2011).
- Majid,k.(2017). Taha jabir al- ALWani: Astudy of his views on ethics of disagreement in Islam Journal of Religion and Health , 56 (1) , 47-54. Doi:10.100١٠٩43-015-0066- /x.
- Muhammad, Ithar Abdul-Hadi, *Istratijiyyat Idaratu Al-Azmat: Tatir Mafahimi Wifqa Al-Manthur Al-Islami*, (in Arabic), (Bagdad: Majallat Al-Umum Al-Iqtisadiyyah wa Al-Idariyyah, Kulliyyat Al-Idarah wa Al-Iqtisad, Jamiat Baghdad, Vol. 17, issue. 64, 2011).
- Muslim*, Sahih Muslim*, (in Arabic), (Beirut: *Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi*).
- Nasiruddin, Yaqub Adil, *Mafhum Al-Hikmah Sharan wa Wadan,* (In Arabic), (Jordan: Jamiah Al-Sharq Al-Awsat, 2013). Site: http://www.yacoubnasereddin.com
- Qasim, Hamzah Muhammad, *Manar Al-Qari Sharah Mukhtasar Al-Bukhari*, (in Arabic), (Damascus: Maktabat Al-Bayan, 1990).
- Qutb, Sayyid, *Fi Thilal Al-Quran*, (in Arabic), (Cairo: Dar alShuruq, 1412 A.H.), 17th ed..
- Tarvydas,v.M.,L.L.,&Teahen, p.R.(2017).Ethical guidelines for mass trauma and complex humanitarian emergencies. Journal of counseling and/ Development,95 (3),260-268.doi:10.1002/jcad.12140